لماذا التوحيد . .

للأستاذ الشيخ محمد عبد المجيد الشافعي

الرئيس العام للجماعة

بسم الله الرحمن الرحيم

المؤمن

المؤمن اسم من أسماء الله . . الواحد الأحد ، الفرد الصمد[1] ، « لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً[2] أحد[3] » ، المتصف بكل كمال ، المنزه عن كل نقص ، المتعالى عن مشابهة الحوادث ، أول بلا ابتداء ، وآخر بلا انتهاء ، « ليس كمثله شيء ، وهو السميع البصير[4] » ، سبحانه تجلت قدرته ، وعظمت مشيئته « هو الأول والآخر ، والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم[5] » « هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم ، هو الله الذى لا إله إلا هو الملك القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون ، هو الله الخالق البارئ المصور ، له الأسماء الحسنى ، يسبح له ما فى السموات والأرض ، وهو العزيز الحكيم[6] » لاشريك له فى ملكه ، ولا معين له فى خلقه « ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين[7] » هو رب كل شيء وخالقه ومليكه ، وهو مدبر الأمر كله ماشاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، كل ما بالخلق من نعم منه سبحانه « وما بكم من نعمة فمن الله[8] » .

لا يكشف الضر غيره ، ولا ينزل الرزق سواه . لا معطى لما منع ، ولا مانع لما أعطى ، ولا راد لما قضى ، له الحكم « وإليه يرجع الأمر كله فاعبده وتوكل عليه[9] »

سمى نفسه المؤمن لأنه المصدِّق ، فإن

---

(١) الصمد : المقصود فى الحوائج (٢) مماثلا (٣) من سورة الإخلاص
(٤) سورة الشورى : من آية ١١ (٥) سورة الحديد : آية ٣ (٦) سورة الحشر : من الآية ٢٢ إلى آخر السورة (٧) سورة الأعراف : من آية ٥٤ (٨) سورة النحل : من آية ٥٣
(٩) سورة هود من آية ١٢٣ .

حقيقة الإيمان فى اللغة هو التصديق، ومعناه فى وصفه تعالى تصديقه لنفسه.. وهو علمه سبحانه وتعالى بأنه صادق ويكون تصديقه لعباده.. علمه بأنهم صادقون.

سمى نفسه المؤمن لأنه يصدق عباده وعده ووعيده، وهو أن يفعل ما وعد به وأوعد، وعلى هذا يكون «المؤمن» من صفات فعله.. ويكون معنى «المؤمن» من الأمان الذى هو الإجارة التى يمنحها من استعاذ به.

وإذا كان الله تعالى يؤمن عباده ويجيرهم. فإن لإجارته وأمانه طريقين:

أولهما مؤجل.. إلى يوم القيامة.. فى الجنة. قال تعالى: «أولئك لهم الأمن».

ثانيهما معجل: ويكون للعبد حسبما يليق بوقته وظروفه كأن يؤمنه من خواطر الشيطان، أو كأن يؤمنه من هواجس النفوس ودواعى الزلات ونوازع المخالفات، حتى لا يقع فى ارتكاب الآثام، أو كأن يؤمنه خوف الفقر ورعب الضر حتى يكون راضى النفس ساكن السر، يثق بوعد ربه.

هذا هو «المؤمن».. اسم الله الذى لا إله بالتحقيق والثبوت غيره، فمن آمن به أمن، واستوفى عهده وأجره، ومن لم يؤمن به لا ذمة له ولا عهد

وقد اشتق من اسمه «الإيمان»، لأن ذكره يورث الإيمان وعدم الخوف ممن سواه، والإيمان هو التصديق القلبى بكل ما جاء به محمد مع الالتزام بالعمل به. فتؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وجميع المسميات التى وردت فى كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ والإيمان هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل، وهو قوة دافعة وطاقة محركة، فلا يتم إيمان مع كسل، كما لا يكمل إيمان مع جهل.

وإيمانك بالله يحملك على أن تعرفه، فتحبه فتطيعه، فتكون مع الذاكرين الشاكرين. وإيمانك باليوم الآخر يحملك على الاستقامة وأداء المأمورات واجتناب المنهيات، رجاء الثواب وخوف العقاب. وإيمانك بالرسول يحملك على أن تعرفه فتحبه فتتبعه، ولن تعرفه إلا فى دراسة سيرته والسير على منهجه فى الحياة والتخلق بخلقه.

«ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة[1]»

(١) النساء: من آية ١٢٤

« ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما[1] »

« من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة[2] »

« ومن عمل صالحاً من ذكر وأنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب[3] »

اللهم سبحانك آمنا بك يامؤمن ، واتبعنا سنة نبيك المؤمن .. فألهمنا الرشاد واهدنا صراطك المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم ، غير المغضوب عليهم ، ولا الضالين ، واكتب لنا خاتمة السعادة أجمعين .. آمين .

تقرير الدولة البلجيكية
بجعل الاسلام دينا رسميا فى البلاد

فرحة .. قررت الحكومة البلجيكية الاعتراف بالإسلام دينا فى الدولة ونحن إذ نحمد الله على هذا الخبر الذى يؤكد أن الزحف الإسلامى سوف يفتح أوربا فى القريب العاجل .

فشكراً للأستاذ محمد توفيق عويضة الأمين العام للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية على الجهود التى بذلها فى هذا السبيل .

نسأل الله له المزيد من التوفيق فى خدمة الإسلام والمسلمين .

رئيس التحرير

محمد رشاد الشافعى

(١) طه : آية ١١٢ (٢) النحل : من آية ٩٧ (٣) غافر : آية ٤٠

التحذير من زلة العالم

للأستاذ عبد العزيز بن راشد

كثر تأليف الكتب في أيامنا القريبة في مختلف الموضوعات وبالأخص مناسك الحج لما رأى المؤلفون حرية النشر وجهالة الكثير من المسلمين ، وتدفق عامتهم على الحج والعمرة، كما ساعد عليها سهولة المواصلات فأحسن الكثير منهم وقصر باع البعض فلم يصب وقد رأيت منسكا لأحد الفضلاء وصفه (هداية الناسك) فيه جمل لها مساس بالتوحيد متى أجريت على ظاهرها ضرت العامة وغيرهم لإبهامها و اخفاء مدلولها عليهم فحملني ذلك على بيانها معرضا عن ذكر اسم المؤلف لأن قصدي النصح لله ولهم والله ولي والتوفيق .

وإلى القارئ الحريص على فهم دينه تلك الجمل عله يحذر من الخطأ .

ومما في الرسالة الآنفة الذكر ص٥٠ قال: « يبدأ الزائر للنبي ﷺ بتحية المسجد فيصلي ركعتين ثم يأتي القبر الشريف فيقف قبالة وجهه ويستقبل جدار الحجرة ويكون مطرقا غاض البصر خاضعا خاشعا مملوء القلب هيبة طيباتها مالا يصلح إلا وهذه الألفاظ تحمل في كأنه يرى النبي » . فله كالذلة والخشية والخوف والافتقار ،لأن هذه صفة المؤمن إذا دخل في الصلاة لله بل في جميع أحواله وبالأخص إذا اشتد عليه الكرب أو رغب في مناجاة ربه والإشارة إلى بعض ماتدل عليه هذه الألفاظ التي اختارها المؤلف ليتحلى بها زائرو النبي عند زيارتهم له: أولها الإطراق بالبصر والرأس إلى الأرض ، وهذا يدل على الذلة كما يدل على الخضوع للنبي من الزائر.

الثانية: غض البصر وهو نوع من العبادة متى كان لأمر الله بأن يكفوا عما حرم عليهم قال تعالى: (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) .

الثالثة : خاضعاً وهو التذلل النفسي والقلبي لمن خضع له الخاضع ولهذا قال الله لأزواج رسوله (يانساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض)

الرابعة : خاشعاً : الخشوع للقلب والجوارح والبدن عن الحركات إلا مالا بد منه قال الله تعالى (قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) ؛ وقال عن زكريا وأهله وعموم الأنبياء (إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين).

الخامسة : قوله مملوء القلب هيبة هذه تأتي على ماتقدم من ألفاظ الزيارة للنبي وتكسوها عبادة من زائريه له إذ أن من المعلوم أن من امتلأ قلبه من فاقد الأسباب الحسية والإرادية لا بد أن يمتلىء قلبه هيبة وتعلقا على من خاف منه ، من تحصيل رغباته ، لأن الهيبة الخوف والرغبة، فإذا كانتا من فاقد الأسباب الحسية ومما لا إرادة له كانتا عبادة له ، والنبي وجميع الأموات لا أسباب يملكونها بعد موتهم ، ومقابل الهيبة الرغبة والطمع لنيل مايؤمل لديه وهذان كثيران في القرآن ، والسنة وجميع المعبودات الميتة فاقدة لجميع الأسباب الحسية والإرادية لا يملكون نفعاً ولا ضراً لمن خضع لهم ومن دان لمن لم يفقدها ، كالطواغيت الحية برضاه واختياره كفرومن الرهبة والرغبة تعليم النبي لمن آوى إلى فراشه أن يقول : « اللهم إني أسلمت نفسي إليك ؛ ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت » .

هذا ظاهر هذه الألفاظ التي أبهمت كما أخفاها المؤلف على الجمهور في رسالته يقصد منها توضيح العبادة وهداية القارئين لها ، والهيبة والرهبة والخوف والوجل وما في معناها كلمات مترادفة ينوب بعضها عن بعض في المعنى والجميع من العبادة القلبية ، لا يزال العرب يعلمون ذلك اليوم بلسانهم كما نثر في القرآن فليس لأحد أن يوهم العامة ويلبس عليها دينها كالبس يأهل الكتاب على عامتهم قال الله تعالى يأهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون »

ومثل ذلك الخشية والإشفاق وهذا كثير في القرآن على ألسنة العرب اليوم ، والرغبة والرهبة كلمتان متلازمتان عند الإنسان تحمله على الرغبة فيمن يعتقد فيه القوة المؤثرة بالضر فيلجأ إليه لطلب كشفه كما يلجأ إليه لطلب النفع .

هذا ظاهر ألفاظه التي أبهمها على الجمهور في رسالة يطلب منه توضيح العبادة منها وأعظم هذه الألفاظ اختلالا قوله مملوء القلب هيبة ، كأنه يرى النبي . وقد قال النبي عن الإحسان « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك »

وإذا سمع العامي هذه الكلمة ظن أن النبي

يماثل الله أوله تأثير فى حاجة عنده وفى السيرة النبوية أن رجلا وقف أمام النبي يرتعش ، فقال له النبي ﷺ « هون عليك يا أخى ، ما أنا إلا ابن امرأة تأكل القديد » .

وهذه صفة من يزيد هداية الجاهل وإرشاده إلى الحق .

وقال الله فى هدم الشرك وحسم الإشراك بالنبى بعد موته ، فمن ؟ دونه لئلا تغلو فيه الأمة كما حصل اليوم وقبله (وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً - إلى أن قال - إنى لا أملك لكم ضراً ولا رشدا) وهذا إنما يعنى به حالته بعد الوفاة للعلم بحالته قبلها .

فلو لاحظ فضيلة الشيخ ذلك وما دلت عليه هذه الآية وما فى معناها من القرآن ، وواقع الحياة لم يترك ألفاظه مبهمة مغبضة على الزائرين وغيرهم ، قال الله تعالى فى هدم ماتوهم من ألفاظ الرسالة (إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتى ثمناً قليلا)

وقال تعالى (ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلا - إلى - ما عندكم ينفد وما عند الله باق - إلى - أحسن ما كانوا يعملون) .

وقال تعالى فى عتابه للنبي (وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه - إلى - ما كان على النبى من حرج فيما فرض الله له سنة الله فى الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدورا ، الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله وكفى بالله حسيبا) .

وعلى الشيخ أن يلحظ ماتعطيه هذه الآيات من بيان الخشية والهيبة والخوف فإن كان أبهم تلك الألفاظ ليتألف قوما على الإسلام أو يدفع تهمة آخرين عنه وعن قومه فليذكر أن النبي ﷺ وأصحابه أحرص منه على تأليف أعداء الإسلام ودفع التهم عنهم ، فما سلك أحد منهم مسلكه فى بدعة زيارته للنبي ﷺ ولا تأولوا كتأويله خوفاً من أعدائهم ولا تأليفا على الحق فله فيهم أسوة وقدوة إذ هم أولى منه بكل خير وأبعد منه عن الشر .

وقد رد الشيخ على نفسه بدعيته من هذه الرسالة ص ٥٦ إذ قال : فلا ينبغى لأحد أن يشرع ما لم يأذن الله به إذ لا مجال للآراء ولا مسرح للعقول فى تغيير شىء من أنواع العبادات بزيادة أو نقص أو تغيير أو تبديل . اهـ .

قال الله تعالى فى تأييد ماذكرنا وذكره آنفاً (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم

نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) .

فما أكمل لا يزاد عليه وما أتم لا يضاف إليه شيء وهذا يكفي في تحديد العبادات .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ « من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد . ومن أحدث في أمرنا ما ليس فينا فهو رد » . وهذا يكفي في رد كل بدعة وبالأخص بدعة الشيخ التي لم يستند على جوازها بشبهة يخالفها الإسلام لا كما يدعي ويأبى ولا يعترف على نفسه بالخطأ إذا ذكر بنفسه .

(بيان السنة في زيارة النبي والأموات)

(ما لم يمنع عنها أمر جاهلي)

عن سليمان بن بريدة قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله للاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية » .

وعن عائشة قالت « قلت يا رسول الله كيف أقول لهم (تعني الأموات) إذا زرتهم قال : قولي السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون » .

هذه الزيارة التي ينبغي لكل مسلم ألا يرغب عنها سواء زيارة النبي فمن دونه لا فرق بين العظيم وغيره في ذلك . فلو علم النبي أنه يميز في زيارته لصرح لنا ولأصحابه قبلنا بما يجوز ويستحقه علينا في الزيارة كما علم عنه أنه لا يكتم ما أنزل إليه كما يبالغ في منع الشر عن الأمة . قال الله تعالى (والرجز فاهجر) ، فعلى الزائرين أن يهجروا زيارة الرجز وما عبد مع الله .

وعن عبد الله بن عمر قال: كنا في سفر فنزلنا منزلا فمنا من يرعى الإبل ومنا من يصلح جشره يعني (متاعه) ومنا من يجمع الحطب فأمر النبي مؤذنا أن يؤذن الصلاة جامعة فاجتمعنا إليه فقال ما بعث الله نبيا قبلي إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينذرهم شر ما يعلمه لهم إلى أن قال : فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه » . رواهن مسلم .

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ أبغض الناس إلى الله ثلاثة : ملحد في الحرم ، ومبتغ في الإسلام سنة الجاهلية ، ومطلب دم امرئ ليهريق دمه » .

في هذا الحديث الوعيد الشديد لمن ألحد

فى الحرم أو أدخل فى الإسلام صنة جاهلية ، فالحذر الحذر من إدخال السنن الجاهلية على الإسلام . وفى بيان النبى ﷺ أبلغ بيان فى تحديد العبادة فما حدده النبى فهو منها بلا ريب كما يؤيد هذا ماتقدم فى الآيات والحديث وقول الله تعالى : (يأيها الذين آمنوا لاتقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم) .

وقوله . (وما كان لمؤمن ولامؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا)

ونسأل فضيلته عن تحديد العبادة فلابد أن يقول هى ماحدده الله ورسوله من الوصايا والأوامر والنواهى كما يدخل فيها كل عمل شرعه الله ورسوله فيقال له زيارة القبور والأموات والنبى أحدهم داخل فى ذلك ، وما شرعته أنت لزائرى النبى ﷺ فليس فيها فثبت أن ذلك باطل وبدعة قبيحة يجب ردها والتوبة منها كما ذكرنا .

نسأل الله أن يتوب علينا وعلى كل من أساء وزل .

وقال معاذ بن جبل: « كيف أنتم يامعشر العرب من ثلاث : زلة العالم ، وجدال المنافق بالقرآن ، ودنيا مؤثرة تقطع أعناقكم ، قيل : ما المخرج منها ؟ قال : أما العالم فإن اهتدى فلاتقلدون دينكم فإن المؤمن يفتتن ثم يتوب وأما جدال المنافق بالقرآن فإن القرآن عليه منار كمنار الطريق لايخفى عليكم ، وأما الدنيا المؤثرة فمن جعل الله غناه فى قلبه فقد أفلح ، ومن لم يجعل الله غناه فى قلبه فليست دنياه بنافعته » .

وصلى الله على محمد ومن اتبعه إلى يوم الدين .

دعاء الكرب والهم والغم والحزن

روى البخارى ، ومسلم ، عن ابن عباس رضى الله عنه . . أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — كان يقول عند الكرب :

« لا إله إلا الله العظيم الحليم ، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ، ورب العرش الكريم » .

ثم يقول : « حسبنا الله ونعم الوكيل » ويدعو الله بعد ذلك بما يريد .

الوصـــــــايا

لفضيلة الشيخ سيد سابق

من الوصايا ماينبغى تنفيذه والقيام به .

ومن الوصايا ما لاينبغى عمله ولايحل فعله .

فالوصايا التى يقوم بها الوصى هى الوصايا المشروعة التى أذن الله بها كأن يوصى المرء ببذل جزء من ماله مساعدة للفقراء أو توزيع كتبه على المكتبات العامة أو يوصى بعمل مشروع خيرى يلحقه ثوابه بعد وفاته .

ومثل الوصايا التى لاينبغى تنفيذها والتى لم يشرعها الله البناء على القبور والكتابة عليها وإنارتها .

ومن الوصايا التى لم يشرعها الله وضع الحنة والمصحف تحت رأس الميت . أما الحنة فهى نوع من الإسراف ووضع الشىء فى غير موضعه فإن المطلوب بالنسبة للميت غسله وتكفينه والصلاة عليه ودفنه دون زيادة على هذا .

وأما وضع المصحف فيجب أن يعلم أن القرآن الكريم كتاب هداية وتربية أنزله الله ليخرج الناس من الظلمات إلى النور وليرشدهم إلى مناهج الخير ومعالم الحق . وبركة القرآن والانتفاع به يكون بتلاوته وتدبر معانيه والعمل بما فيه والوقوف عند أوامره ونواهيه وتحليل حلاله وتحريم حرامه وهذا ما أشار إليه الحديث الذى رواه الإمام على كرم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال: ستكون فتن كقطع الليل المظلم . قلت: يارسول الله وما المخرج منها ؟ قال: كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ من قبلكم وخبر مابعدكم ، وحكم مابينكم ، وهو الفصل ليس بالهزل . من تركه من جبار قصمه الله ، ومن اتبع الهدى فى غيره أضله الله . فهو حبل الله المتين ، ونوره المبين والذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذى لاتزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ، ولا تتشعب معه الآراء ، ولا يشبع منه العلماء ، ولا تمله الأتقياء ، ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه ، وهو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا « إنا سمعنا قرآنا عجبا » .

(البقية ص ٢٣)

مهـــــر سجـــــاح

« على طريقة حذيفة »

• ثم زرت السودان مرة أخرى ...

ورأيت وجهه الطيب الوديع المشرق ...

والتقيت بأهله الأحباء الأعزاء الأوفياء ...

وعشت بينهم شهر رمضان ، وبعضاً من شوال ، أتنقل بين المساجد والمنتديات والجامعات .. فى الخرطوم ، وأم درمان ، والأبيض .

وتلقيت (دعوات) كثيرة وعزيزة من مدن السودان الأخرى [كسلا ، وبورسودان ، وغيرها] وقد أرجأتها إلى العام القادم إن شاء الله ووفق .

• وقد أعجبنى فى أهل السودان ـ حياهم الله وزادهم براً وخيراً ـ إقبالهم العظيم على العلم والمحاضرات .

[ولو رحت أعدد وأسجل وأصف ما قوبلت به من حفاوة ، وما قوبلت به محاضراتى من اهتمام ؛ لخرج الحديث عن طبيعته (العامة) إلى حديث عن النفس ، وهذا ما لا أريده ولا أبتغيه !!]

• غير أنى قابلت فى السودان أفراداً لا يكادون يعدون على أصابع اليد الواحدة باعوا أنفسهم وعقولهم ومقدراتهم للشيطان ، واستبشروا بهذا البيع !!

• وعن هؤلاء أسوق حديث هذا العدد ضمن سلسلة أحاديثى عن الذين (كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه)

• لكن.. لماذا أعرض هذا الجانب (الشرير الأحمق) ؟ أما كان الأوفق والأليق أن أعرض الجانب الوضاء المضىء ؟

وجوابى : كلمة حذيفة رضى الله عنه — التى يقول فيها : « كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم — عن الخير ، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركنى »

وما قاله حذيفة أقوله ، فالناس يكتبون عن الخير ، أما أنا فأكتب عن الشر مخافة أن يدركنى .. أو يدرك الآخرين !!

أو كما قال الشاعر :

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه

١ ـ الإسلام الكوكبى

التقيت فى رحلتى السابقة إلى السودان (بالعالم الكوكبى) صاحب ومؤلف (الإسلام الكوكبى) أو (الرسالة الثانية) !! . وقد فسر لى مايقصده بالإسلام الكوكبى ، قال . إن الإسلام الأول جاء إلى الناس فى زمان كانت فيه وسيلة المواصلات هى (الجمل) أما اليوم فإن (وسائل المواصلات) قد تعددت وتلونت بحيث أصبحت تربط (الكوكب الأرضى) كله !!

وإذاً فإن البشرية أصبحت فى حاجة إلى (إسلام جديد) يتلاءم مع العصر الكوكبى . . عصر السرعة !!

وقد بنى على هذا الأساس المنهار . فكره المنهار كله . فقال : إنه من الضرورى والحتم شطب القرآن المدنى ، وإبقاء القرآن المكى [1] .

لماذا ؟ لأن القرآن المدنى يوقف سير الحضارة ، ويعوق (عجلة) التقدم ـ ولماذا أيضاً ؟ لأن القرآن المدنى (قرآن فروع) أما القرآن المكى فهو (قرآن أصول) !!.

ولما طلبت إليه أن يضرب لى مثلا للقرآن المكى ، ومثلا آخر للقرآن المدنى قال : القرآن المكى ، مثل : (ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو)[2] .

والقرآن المدنى ، مثل : (خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها)[3] .

---

(١) يلاحظ أن صفة القرآن كله من القرآن المدنى (البقرة ، آل عمران ، النساء ، المائدة) وماقدمه الله يؤخره صاحب العقل الكوكبى .. بل يلغيه ويشطبه !!

(٢) البقرة ٢١٩ (٣) التوبة ١٠٣

فلما قلت له : إن الآيتين مدنيتان .!

غضب وقال: إنني أعني بالقرآن المكي .. قرآن الأصول ، وأعني بالقرآن المدني قرآن الفروع .!

قلت له : لكن علماء السلف لم يصطلحوا على هذا !!

قال لي : هذا اصطلاح جديد ..

وصدق .. فهو (اصطلاح كوكبي) أيضاً !!

---

٢ ـ مزاعم الدراويش

والتقيت في السودان أيضاً بدرويش محظوظ .. آتاه الله بسطة في المال والأتباع !

قال لي : أنا الذي غيرت اسم الطريقة (البرهامية) وجعلتها (البرهانية)

قلت له : هذا اكتشاف خطير ، فكيف تم هذا ؟

قال : إن (سيده) إبراهيم الدسوقي التقى به وأفهمه هذا ، أفهمه أنه (برهان الله) ، وأن طريقته (البرهانية)

سألته : هل صحيح مايقال من أن (إبراهيم الدسوقي) دخل المعركة (معركة رمضان) بنفسه ؟

وهنا اعتدل في جلسته ، وافتر ثغره عن ابتسامة ، وألقى بنظراته عبر حجرته الواسعة المليئة بالصور واللافتات ، ثم قال في اختصار المتشدد : نعم !!

وعدت أسأل : بلحمه ودمه !!

وعاد يجيب : نعم .. بلحمه ودمه !!

---

٣ ـ ثالثة الأثافي

وثالثة الأثافي :.

رجل ينادي بضرورة (شطب السنة) ، وإلغاء كتبها ، وإعادة النظر في الإسلام كله ، من أوله إلى آخره . . بعيداً عن الرسول وصحابته ، فالقرآن وحده هو مصدر التشريعة ولاشيء سواه .. حتى في عدد الصلوات ، فهي ثلاثة وليست بخمسة كما تقول أجيال المسلمين !!

والمهم عندى هو : أن دعوة هذا الرجل تعتبر امتداداً طبيعياً لدعوة (صاحب الإسرائيليات) ذلك الذى تحدثنا عنه فى مقالات سبقت ، وسنتحدث عنه فى مقالات تأتى إن شاء الله وقدر !

فكل واحد من الرجلين يرفض كتب السنة ، ويندد برواتها ! حتى ولو كانوا من الصحابة كأبى هريرة وابن عباس وابن عمر وأنس وعائشة ..!

غير أن رجل السودان أكثر وضوحاً من تابعه فى مصر ..

فالأول : أعلن (رفض السنة) بلا لف ولا دوران ..

والثانى وقف عند قوله تعالى: (مذبذبين بين ذلك لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء)

وقد تطوع (مكذب السنة)

كما تطوع (مسيلمة الكذاب) بجعل الصلوات ثلاثاً بدلا من خمسة .!

وقد تعاون الاثنان فى أن يكون هذا مهراً لسجاح .!

ولنر سجاح قصة أذكرها كما جاءت فى كتب التاريخ .

جاء فى كتاب الأوائل لأبى هلال العسكرى (ص ٣١٩ طبعة المغرب) ما أذكره ملخصاً :

[كان من حديث سجاح بنت سويد بن خالد بن أسامة ابن المنتفر بن ضبيع التميمية وتكنى أم صادر]

أنه لما قبض النبى صلى الله عليه وسلم ، واستخلف أبوبكر ، وكانت الردة ، تنبأت سجاح ، وخرجت مع بنى تغلب ، فتبعها أناس كثيرون من النمر بن قاسط ، وإياد ، ومن بنى تغلب الهذيل بن عمران]

[فخرجت تسير بهم إلى بلاد تميم]

[ثم قالت : عليكم باليمامة ؟ فإنها دار إقامة ، فلقى أبا ثمامة ، فإن كان نبياً ففى النبى علامة . وإن كان كذوباً فله ولقومه الندامة ولا يلحقكم بعده ملامة]

[فساروا حتى نزلوا العماد ، فبلغ ذلك مسيلمة الكذاب — وكان قد تنبأ — فتجسس أهل اليمامة لها ، فقال مسيلمة . دعونى ورأيى ، فأهدى لها ، وكتب إليها

موعدنا يوم كذا نلتقى فيه ، ونتدارس ؛ فإن كان الحق بيدك بايعناك ، وإن كان فى أيدينا بايعتنا ، فخرجت فى أربعين ، فلما جلسوا أحصاهم ، ثم قال : ليقم من هاهنا عشرة ، ومن هاهنا عشرة ومن هاهنا عشرة ، ومن هاهنا عشرة حتى ننظر فى حب الأمر ، فقاموا ، فقال مسيلمة لغلامه : عثن لها لتذكر الباه - والعثان الدخان - أى : بخر لها بشىء من الطيب] .

[ثم قال :

ألا قومى إلى البيت فقد هيئ لك المضجع

فإن شئت بثلثيه وإن شئت به أجمع

قالت : بل به أجمع

قال : بهذا أوحى إلى]

[قالوا : ولما وقع عليها مسيلمة خرجت إلى قومها وهى تنطف عرقا ، قالوا : ماعندك ؟ قالت : وجدته أحق بالأمر منى فبايعته وزوجته نفسى .

قالوا : ومثلك لايتزوج بغير مهر

فقال مسيلمة : جعلت مهرها أن رفعت عنكم صلاة الغداة والعتمة]

والغداة : الصبح

والعتمة : العشاء

وإذا كان (مسيلمة الكذاب) قد قدم (مهر سجاح) إلغاء صلاة الصبح والعشاء ..!!

فإن (مكذبة الحديث) اليوم ، يقدمون نفس المهر ، لكنهم يتسترون ويسقطون الظهر والعصر ..!!

فما أشبه الليلة بالبارحة !!

محمد جميل غازى

سورة الفاتحة ، ومكانتها من القرآن الكريم

— ٨ —

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العلمين ، الرحمن الرحيم ، ملك يوم الدين ، إياك نعبد وإياك نستعين ، اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

٧ — صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين :

عرفنا — فى العدد السابق — أن الناس فى كل زمان ومكان أمام الصراط المستقيم يفترقون إلى فرق ثلاث : فريق « الذين أنعم الله تعالى عليهم » بالهداية والرضا من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، فلزموه ، وفريق « المغضوب عليهم » الذين ضلوا على علم : رأوا سبيل الرشد فلم يتخذوه سبيلا ، ورأوا سبيل الغى فاتخذوه سبيلا ، وفريق « الضالين » الذين انحرفوا عن طريق الحق عن جهل وطيش .

وقد علمنا الله سبحانه أن نتوجه إليه وحده نسأله الهداية ، ونستعينه ونستهديه سبيل الحق والخير ، وندعوه أن يجنبنا غضبه ، ويحفظنا من الضلال .

كما عرفنا أن هذه الفرق الثلاث التى ختمت بها سورة الفاتحة ، وذكرتها إجمالا — هى الفرق الثلاث التى بينتها سورة البقرة — بعدها — تفصيلا ، وأن الذين أنعم الله تعالى عليهم (فى سورة الفاتحة) هم المتقون (فى سورة البقرة)(١) وهم الذين اتصفوا بالإيمان والعمل الصالح فكانوا أهلا للاهتداء بالقرآن ، وكانوا هم المفلحين .

وأن المغضوب عليهم (فى سورة الفاتحة) هم الكافرون (فى سورة البقرة)(٢) وهم الذين عرفوا الحق ، وجحدوا به عناداً واستكباراً ، فسواء عليهم « أأنذرتهم أم لم تنذرهم

---

(١) تحدثت عنهم سورة البقرة ، فبينت صفاتهم وجزاءهم فى آيات أربع : من الآية الثانية إلى الآية الخامسة

(٢) تحدثت عنهم سورة البقرة ، فبينت صفاتهم — كذلك — وجزاءهم فى آيتين اثنتين : الآية السادسة والسابعة .

لا يؤمنون ، ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ، ولهم عذاب عظيم ، والضالون (فى سورة الفاتحة) هم المنافقون (فى سورة البقرة)(١) الذين يظهرون بألسنتهم الإيمان ، ويبطنون فى قلوبهم الكفر فى خداع وغرور ، وجبن وتلون .

السبب والجزاء للطوائف الثلاث :

ومما تجدر ملاحظته أن سورة الفاتحة فى هذه الآية الأخيرة منها - قد ذكرت السبب والجزاء لكل طائفة من الطوائف الثلاثة بأوجز لفظ وأخصره :

فالإنعام عليهم يتضمن إنعام الله تعالى بالهداية التى هى العلم النافع ، والعمل الصالح ، وهى الهدى ودين الحق ، ويتضمن كمال الإنعام بحسن الثواب والجزاء ، فهذا تمام النعمة ، ولفظ « أنعمت عليهم » يتضمن الأمرين جميعاً .

وذكر غضبه على المغضوب عليهم يتضمن أمرين أيضاً : الجزاء بالغضب الذى يوجب غاية العذاب والهوان ، والسبب الذى استحقوا به غضبه سبحانه ، وهو ضلالهم ، فإنه أرحم وأراف من أن يغضب بلا جناية منهم ولا ضلال ، فكأن الغضب عليهم مستلزم لضلالهم .

وذكر « الضالين » مستلزم لغضبه عليهم ، وعقابه لهم ، فإن من ضل استحق العقوبة التى هى موجب ضلاله ، واستحق غضب الله عليه .

ومن هذا يتبين أن وصف كل واحد من الطوائف الثلاث استلزم السبب والجزاء أبين استلزام ، واقتضاه أكمل اقتضاء فى غاية الإيجاز والبيان والفصاحة ، مع ذكر الفاعل فى أهل السعادة ، وحذفه فى أهل الغضب ، وإسناد الفعل إلى السبب فى أهل الضلالة(٢) .

التأمين :

يستحب لمن قرأ الفاتحة - فى الصلاة أو سواها - أن يقول بعدها : (آمين)(٣) بمد الهمزة ، ويقال : « أمين » بالقصر أيضاً ، ومعناه : اللهم استجب ، وعن ابن عباس قال :

---

(١) تحدثت سورة البقرة عنهم ، وبينت صفاتهم وجزاءهم فى ثلاث عشرة آية : من الآية الثامنة إلى الآية العشرين .

(٢) راجع ماذكر بالتفصيل فى ص ٢٣ من العدد السابق .

(٣) راجع ص ٨ من العدد الأول ، من المجلد الثانى من مجلة التوحيد (المحرم سنة ١٣٩٤ هـ)

قلت : يارسول الله ، ماهعنى آمين ؟ قال : رب افعل ، ولمسلم : أن رسول الله ﷺ قال : « إذا قال أحدكم فى الصلاة : آمين ، والملائكة فى السماء : آمين ، فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ماتقدم من ذنبه ، وقد قال ﷺ : « علمنى جبريل آمين عند فراغى من قراءة الفاتحة ، وقال : « إنه كالختم على الكتاب » .

ويجهر بالتأمين فى الصلاة الجهرية ، ويسر به فى السرية .

خاتمة :

وبعد ، فهذه هى سورة الفاتحة ألقينا عليها نظرة فى موادها ومقاصدها ، مقارنة بمواد القرآن ومقاصده .

وبقيت نظرة أخرى سريعة ، نقارن فيها بين أسلوب الخطاب فى الفاتحة ، وأسلوبه الخطاب فى القرآن ...

ماذا نرى فى هذين الأسلوبين ؟

نرى اتجاهين مختلفين تمام الاختلاف :

فسورة الفاتحة هى السورة الوحيدة التى وضعت على لسان المؤمنين يتجهون بها إلى الله وحده ، وسائر السور تعبر عن الحركة المقابلة ، حركة الرحمة المرسلة من السماء إلى الأرض وهكذا حين ننظر إلى القرآن فى جملته نراه يتمثل أمامنا فى صورة مناجاة ثنائية ، الفاتحة أحد طرفيها ، وسائر القرآن طرفها الآخر ، الفاتحة سؤال ، وباقى القرآن جواب ، الفاتحة هى طلب الهدى ، والباقى هو الهدى المطلوب .

فلننفذ بهذه النظرة إلى نهايتها ، فإنها ستعود إلينا بحصيلة ثمينة من العبر النفيسة :

أول مانلتقطه من هذه العبر أن القرآن (وهو دستور الإسلام) لو جاءنا بدون الفاتحة لكان دستوراً وافداً على الأمة ، طارئا عليها ، يعرض نفسه عليها عرضا ، أو يفرض عليها فرضاً ، أو يمنح لها منحة ... فليكن .. مع ذلك حقاً كله ، وخيراً كله ، وهدى كله ، لكنه لو لم تطلبه الأمة ، ولو لم تعلن حاجتها إليه لكان لها أن تستقبله كما تستقبل البضاعة المعروضة بغير طلب ، وأن تقول له زاهدة فيه : لاحاجة بى إليك . أما الآن فالموقف يختلف كل الاختلاف .. إن موقع الفاتحة هنا موقع القرار الجماعى الذى تعلن به الأمة المؤمنة حاجتها إلى هذا الدستور ، وتؤكد مطالبتها به ، وإن موقع القرآن كله بعد الفاتحة

هو موقع القبول والاستجابة لهذا المطلب . فما هو إلا أن أعلن المؤمنون مطلبهم هذا قائلين « اهدنا الصراط المستقيم » وإذا بالقرآن يزف إليهم هديته وهدايته قائلا لهم : دونكم الهدى الذي تطلبونه ، فكانت أول كلمة في القرآن بعد الفاتحة هي : « ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين » وهكذا جاءهم على تعطش وظمأ ، فكان أنقع لغلتهم ، وكان أكرم في نفسه وعلى الناس من أن يتعرض للمعرضين عنه ، أو أن يلزم من هم له كارهون ، وكان فوق ذلك كله أقطع لحجتهم ومعاذيرهم في إهماله ونسيانه لو أهملوه أو نسوه فيما بعد ، ذلك أنه لم يلزمهم إلا بما التزموا ، ولم يحتهم إلا بما طلبوا . وخير الدساتير ما كان تابعاً من حاجة الأمة ، وكان تحقيقاً صريحاً لمطامحها الرشيدة .

وهكذا - بهاتين النظرتين - نرى أن هذه السورة الكريمة - سورة الفاتحة - جوهرة القرآن ونواته ، ولب لبابه ، فهي بحق « أم القرآن » و « أم الكتاب » جديرة بالتلاوة ، صباح مساء ، وعند أداء الصلوات ، وفي كل وقت ومكان .

يقرؤها المسلم ، فيبتدىء بحمد الله ، معترفاً بربوبيته ، مقراً بنعمته ورحمته ، مثنياً عليه بعظمته وقدرته « الحمد لله رب العالمين ، الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين » متوجهاً إليه - وحده - بعبادته ، متبرئاً من حوله وقوته إلى حول الله وقوته « إياك نعبد وإياك نستعين » ثم يسأله أن يهديه الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعم الله عليهم بالهدى وحسن الثواب ، وأن يجنبه طريق المغضوب عليهم ، وطريق من ضلوا « اهدنا الصراط المستقيم ، صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين » .

عنتر أحمد حشاد

(الوصـــايا)

بقية المنشور على صفحة ١١

من علم به علمه سبل ومن قال به صدق ومن حكم به عدل . ومن عمل به أجر . ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم » أما كون المصحف يوضع في مكان للتبرك به فذلك خارج مقتضى ماجاء له القرآن ولم يعرف ذلك عن السلف الصالح روى ابن المبارك بسنده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« لاتضعوا كتاب الله إلا موضعه »

ورأى عمر بن العزيز ابناً له يكتب القرآن على حائط فضربه وقد ذكر القرطبي في الأدب مع القرآن الكريم :

ألا يكتب على الأرض وعلى حائط كما يفعل في المساجد المحدثة فكيف يوضع المصحف في القبر والقبر ليس مكاناً صالحاً لأن توضع فيه المصاحف وكيف يجوز فعل هذا وهو لا يشعر نفعا لأحد؟

تناول الدين بين الجد والهزل

لفضيلة الأستاذ الشيخ محمد الغزالى

بين الإنسان العربى اليوم والإنسان العربى فى صدر الإسلام بون بعيد بعيد. قد يكون إنسان اليوم أنخر ملبساً، أو أدسم مطعماً وأوفره مركباً، ولكنه من حيث الخصائص الروحية والعقلية تافه ضائع بالنسبة إلى أبيه الأول وسلفه العظيم !!

لقد ظهر العرب — منذ بدأ بالإسلام تاريخهم — أمة تقود ولا تقاد، وتدفع ولا تندفع وتمنح الآخرين المعرفة والخلق والقانون الحضارة لأن ثروتها فى هذه المبادئ هائلة وحاجة الغير إليها ماسة، والرغبة فى العطاء موفورة.

أما عرب اليوم فيدهم السفلى ممدودة ترتقب العون المادى أو الأدبى ممن يعطى إذا شاء أو يأبى إذا شاء، وقد يتلقون اللطمة تلو اللطمة فما يستطيعون لفرط هوانهم أن يرفضوا ضيماً أو يدركوا ثأراً.

إن الفروق بين الإنسان العربى اليوم، والإنسان العربى أمس جسيمة، لأن الإنسان بالأمس كان صاحب إيمان عميق، وخلق عظيم، وقدرة على الحياة خارقة، وهمة فى اجتياح العوائق فائقة !.

أما إنسان اليوم فعريان من هذه الخصائص المعنوية.

ونحن اليوم نبذل جهود الجبابرة كى نطوى المسافة بين حاضره وماضيه، كى نعيده إلى الدين الذى صنع أمجاده، وجعل له فى الدنيا دوياً كبيراً، ولم يكن قبله شيئاً مذكوراً.

والناس قد يأخذون الدين شكلا لا موضوع له، وصورة لا روح فيها.

وهذا اللون من التدين قد يكون أسوأ من الإلحاد المكشوف، لأن التدين المصحوب بالضعف والبلادة والذهول والغفلة تدين سخيف مهين، لا وزن له عند الله، ولا أثر له عند الناس !.

وعندما حاول بنو إسرائيل قديماً أن

خذوا الدين بهذه الطريقة السمجة هددهم
، جل شأنه بالسحق أو يأخذوا الدين أخذاً
تقولا .!

أجل ، لقد انتزع جبلا من مكانه ،
هددهم بالدفن تحت ركامه ، إذا كانوا
يتناولون تعاليم الدين بعزيمة خائرة وفكرة
غامضة ، قال تعالى :

« وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة
وظنوا أنه واقع بهم ، خذوا ما آتيناكم بقوة
واذكروا مافيه لعلكم تتقون »

وأخذ الوحي الإلهي بحماس باطن وظاهر
واستبصار مافيه على نحو ينفي الغفلة والنسيان
أمران لابد منهما للتدين الحقيقي .

والأمة التي تنظر إلى معالم دينها ببرود
وقلة اكتراث، أوالتي تغلبها أهواؤها فتنسى
ما كلفت به ، وتمضي وفق هواها لا وفق
هداها ، أمة ليست أمينة على رسالات الله ،
ولا جديرة برعايته .

وقد حكى لنا القرآن ماهدد الله به قديماً
بني إسرائيل حتى نعرف سراً من أسرار
سخطه على الأمم .. وعندما أطيل النظر في
أحوال العرب اليوم أجد علل تأخرهم ظاهرة
لأن انتماءهم إلى الإسلام قشرة رقيقة على
كشود غليظ !!

الناس يؤدون أعمالهم وكأنهم ممثلون لن
يأخذوا أجراً فلا إتقان ولا إخلاص ولا جد
ولا تضحية .!!

أسلوب الأداء خلو من العاطفة الحارة
بله العقيدة الدافعة .. التكاذب المستمر هي
العملة المتبادلة ، والتجهم للحقيقة أساس في
السلوك العام .

وسائق السيارة !! يجب أن يلقب
بالمهندس !! والحلاق بالطبيب !! والساعي
بالريس!! الخ .

وجنون الرياء والظهور يفتك بالأفراد
والأسر والطوائف .

والغرائز الجنسية تقتحم السدود المفتعلة
وتسلك آلاف الطرق المعوجة ، بعد أن هجرت
الحلول الصحيحة لمشكلاتها .!

وضعف الشخصية يستقد من تقليد
المنتصرين في الشرق والغرب ، ويجعل المجتمع
العربي خليطا من المضحكات المبكيات يندى
لها الجبين .

إن الإسلام عنوان غير صحيح للأمة
الإسلامية المترامية الأطراف وللأمة العربية
التي تتولى بحكم لغتها مكان القيادة لجماهير
المسلمين . . وقد نجح الاستعمار الأجنبي في
الاتأخذ ما أوتينا بقوة وألا نذكر ما فيه ..

ومن هنا استطاع أن يصرفنا عن لباب ديننا ، وأن يسلمنا بالقشور الفارغة ، وأن يدفعنا على مر الأيام إلى الخلاص منه ، والارتداد النهائى عنه .

وأخطر مابلغه إيجاد مجتمعات خالية من فضائل العقيدة وروابطها ، والويل لأمة تمارس شئونها المختلفة ، وأمرها فرط وقلبها خرب ، وعقلها هواء .

وربما كانت سنة الله فى الأولين تخويفهم بالخوارق حتى يرعووا ، ورفع الجبال فوق رءوسهم كى يزعجهم فيستقيموا ولكن الله لم يرفع جبال (البرانس) فوق عرب الأندلس حتى يدعوا مجونهم وفجورهم فإنه ترك بين المسلمين كتاباً يقول لهم : « من يعمل سوءاً يجز به »

فلاجرم أن يطردوا من ديار لم يحسنوا الخلافة عند الله ورسوله فيها !!

إن القرآن الكريم صارم الحكم على أبنائه وأعدائه جميعاً ، وعندما زعم أهل الكتاب السابقون أن الجنة حكر لهم مهما كانت أعمالهم كذب الله هذه الأوهام ، وكشف أنه لايستحق كرامته إلا من اتجه إليه بالعمل الصالح « وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين . بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون » .

فإذا كان العرب لايولون وجوههم شطر دينهم ولايتعرون إحساناً فى أمورهم فهل يتوقعون إلا المخاوف والأحزان ؟

فى الأمم الجديرة بالحياة والنصر يؤدى الواجب برغبة باطنة ، ودقة ظاهرة وينطلق الكبار والصغار إلى وظائفهم وحرفهم بباعث من الشوق ، لايسوط الرهبة ، ويتنافس المتنافسون فى إحسان ما بأيديهم ابتغاء وجه الله ومثوبته وإخلاصاً للأمة ، ومستقبلها قبل أن يكون شىء من ذلك نظير قروش أو جنيهات .

وقد كان العرب الأولون تمشياً مع تربيتهم الدينية الأصيلة نماذج رائعة فى هذه الميادين ، فلما شبت الأجيال الأخيرة فى غير منابتها وأعوزها معنى الإيمان والشرف فى حركتها وسكونها ، خانها التوفيق فى الحرب والسلم ، فى الداخل والخارج !!

وما أشك فى أن العرب يتعرضون لعذاب الاستئصال إذا لم يأخذوا الإسلام بقوة ويذكروا مافيه لعلهم يتقون .

ما يمنع الإنسان العربى المعاصر أن يكون كأبيه القديم اعتصاماً بالوحى وامتداداً معه وعيشاً فى إطاره أو موتاً فى سبيله ؟

إن الوحدة التى نتقلب فى حماتها ما ينقذنا منها إلا هذا المنهج القويم المبين . أما الدعاوى العريضة دون سند من يقين وفداء فقد افتضح خبؤها للخصوم والأصدقاء على السواء ، وأضحت عديمة الغناء .

نحن فقراء إلى جيل آخر من الرجال ..

والرجولة المنشودة صفة أضفاها الله فى القرآن الكريم على صنفين متميزين لم يمنحها غيرهما !

الصنف الأول : أولو النجدة والوفاء الذين يقولون الكلمة ويموتون عندها صدقاً مع ربهم واحتراماً لأنفسهم وكأنى أنظر إلى أنس بن النضر وهو يقول لرسول الله : غبت عن أول قتال قاتلت فيه المشركين أما والله لئن التقينا بالمشركين ليرين الله ما أصنع!

هذه يمين إنسان عازم الثقة بنفسه ، وقدرته على الصمود والتضحية ! يمين من ورائها إيمان بعيد الآماد لا يزيغ ولا ينبو !!

ولقد ثبت هذا الرجل فى أحد وتلاشى كيانه بين أسلحة أعداء الله ، ولكنه هو وأنداده من الأبطال كانوا كالجسر الذى عبر عليه الإسلام إلينا وإلى قرون أخرى لا يعلمها إلا الله . وجدير بهم ما نزل فيهم من كلام الله الخالد :

« من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا »

أما الصنف الآخر من الرجال الذين نتطلع إلى ملامحهم الطيبة الطاهرة منهم مدمنو الصلاة ، عشاق المساجد ، ذاكرو الله بالغدو والآصال ، أصحاب السرائر الصافية والأيدى السخية والضمائر المراقبة لربها المستعدة ليوم الحساب .

« فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار »

هل نطمع أن تربى الناشئة على هذا الغرار وأن يكثر فى أمتنا هذا اللون من الرجال ؟

إن العين تلمح أجساداً متحركة بالمآرب الدنيا . وبُغام كبار وصغار نسوا الله فأنساهم أنفسهم . ذلكم هو الغثاء الذى يضيع به اليوم والغد . فهل نتغير ليغير الله ما بنا .؟

إن الهزائم السود التى أصابتنا تعود قبل أى شىء إلى قلة الرجال الذين شرع الكتاب نعوتهم ورسم مستواهم !

إن الرجولة عندنا صفة جسدية ترادف الذكورة ، ومع ذلك فهى رجولة ترفض المشقات وتعشق الملذات وتحب الشبع والرى والزينة والظهور الشخصى مثلا رفيعة !

والكثرة من هؤلاء قلة ، والعراك بهؤلاء لا أمل فيه !

قد أسأل نفسى : لماذا يخرج العمل تائهاً أو تافهاً من أيد كثيرة عندنا ، مع أن المعارف النظرية لإكماله وإعلائه موفورة .

والجواب الذى لا أرى غيره : هو فقدان الإيمان الحار والاعتقاد الموجه ، وتحول الدين فى القلوب إلى قوة كهربائية محاطة بالمواد العازلة المعطلة لأثرها .

وقد عرض ذلك لأهل الكتاب الأولين فأفسد أمورهم وأحبط أجورهم .

وحذر الله المسلمين منه عندما قال لهم : « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون »

والواقع أن الإنسان العربى اليوم أشبه باليهود والنصارى أيام البعثة وعلى عهد الخلافة الراشدة .

إنسان طال عليه الأمد واستغلق فؤاده دون هدايات الله .

بل وجد فى العرب اليوم من يضيق بالانتساب إلى الإسلام ومن يغضب إذا ذكر بأحكامه وشرائعه وشعائره !

وان تعود للعرب قائمة إلا بعودة حية قوية واضحة للإسلام تنسج حياتهم الفردية والجماعية على المنوال الذى نسج حياة آبائهم فى العصر الأول فطلع بهم فجر ، وولد بهم تاريخ . .

دعاء مأثور

روى الإمام مسلم — أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(اللهم آت نفسى تقواها ، وزكها أنت خير من زكاها ، أنت وليها وتولاها ، اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع ، ومن قلب لا يخشع ، ومن نفس لا تشبع ، ومن دعوة لا يستجاب لها) .

وحدة الأديان عند الصوفية

بقلم صاحب الفضيلة الشيخ عبد الرحمن الوكيل — رحمه الله

المعرفة عند الصوفية :

يستمد الصوفية معارفهم - فى زعمهم - عن طريق « الذوق » أو الكشف الشهودى ولذا تتباين المعارف عندهم تبعاً لتباين الأذواق وقد لجأوا إلى هذه الأسطورة حين أيقنوا أن معرفتهم تصادم العقل والنقل وتناقضهما ويؤمن الصوفية إيماناً وثيقا بأن العقل ليس وسيلة إدراك الحقيقة ، وبأن النقل حجاب يستر وراءه الحقيقة الكبرى ، ولهذا يقول القاشانى « القرآن كله شرك ، وإنما التوحيد فى كلامنا[2] » ، وكان من قولهم « من ذاق عرف » أى من استمد معرفته عن طريق الذوق كان هو العارف المكمل ، أما من يستمد معرفته من الدين فهو من أهل الظاهر المحجوبين عن إدراك كنه الحقيقة الإلهية الكبرى ، أو بمعنى أوضح : عن إدراك حقيقة الألوهية التى يقوم وجودها عندهم وجودات العالم الظاهر ، وقد شطح بهم الذوق الأسطورى إلى اعتناق خرافة « وحدة الوجود » وبالتالى إلى اعتناق خرافة « وحدة الأديان » بالمعنى الصوفى . فمن إيمانهم بوحدة الوجود ، نتج إيمانهم بوحدة الأديان .

علاقة وحدة الوجود بوحدة الأديان :

يؤمن الصوفية أن وجود الخالق عين وجود الحق[1] ، فالظاهر عين الظاهر ، والعبد عين الرب ، والمخلوق هو بذاته الخالق .

ويعبر ابن عربى عن ذلك بقوله: « سبحان من خلق الأشياء وهو عينها[3] »

والإيمان بهذه الأسطورة - فوق أنه زندقة وإلحاد وإنكار صريح للألوهية - يهدر القيم الأخلاقية والدينية ، وينفى المسئولية فإله الصوفية هو عين الصنم فى الجاهلية ، والعجل فى السامرية ، وهو بذاته عابد الصنم

(١) لعل صواب : الخلق

(١) مجموعة الرسائل والمسائل ج ٤ ص ٢٣

(٢) الفتوحات المكية القاهرة ج ٢ ص ٦٠٤ (طبعة ١٣٢٩)

وعابد العجل ، فكيف إذن يوجد إيمان وكفر ؟ إذا كان الإله معبوداً من وجه ، وعابداً من وجه آخر؟ بهذا صرح الصوفية - وقد آمنوا بوحدة الوجود - بوحدة الأديان حتى ذهبوا مع الزندقة إلى آخر مداها ، وانحطوا مع الوثنية إلى قرارها السحيق ، فالإيمان بوحدة الأديان نتيجة حتمية كما ترى للايمان بوحدة الوجود .

نتائج الإيمان بوحدة الأديان:

ويعنى الصوفية بالأديان : كل ماجعله أى إنسان دينا سواء كان سماويا أم وضعيا صحيحاً أم زائفاً ، قائما على التوحيد الحق ، أم على الوثنية المشركة أم والإيمان بوحدة الأديان - بهذا المعنى - يمزج الضدين ويجمع بين النقيضين ، يخلط الإيمان بالكفر ، والحق بالباطل ، والخير بالشر ، والوجود بالعدم ، والإيمان بوحدة الأديان عند الصوفية ينتج عنه الإيمان بأن ليس ثمت آخرة ، ولا بعث ولا جزاء ولا حساب . ولا دينونة .

فالصوفية فى غايتها تتلاقى مع المادية الصرفة فى نهايتها ، ولايخدعنك شقشقة الصوفية ولهجهم أحياناً بالخوف والرجاء ، فما هى إلا حبائل يوقعون بها السذج الغافلين فى شراكهم ، وإلا فبربك قل لى : إذا كان الإله هو نفسه هذه الموجودات المتعينة فى موادها ، فهل لهذا الإله دنيا وآخرة ؟ - إذا كان الإله كافراً مؤمناً ، شريراً خيراً ، باطلا حقا ، عاصيا طائعا ، ضالا مهتديا فمن أى حاليه يجزى نفسه ؟

أويرضى الإله الخزى لنفسه فيقيم لنفسه حساباً عسيراً . أويدين نفسه بالجريمة الفاضحة المفضوحة يوم الدينونة ؟ أو يموت الإله ثم يحيا ؟ أقولها صريحة جليسة دون مخافة من تثريب .

إن كبار الصوفية يكفرون بالبعث وبالجزاء لأنهم يكفرون بالألوهية والربوبية . وإن حاولوا الصراخ والعويل . فإيمانهم بالوحدتين الوجودية والدينية يدمغهم ، رضوا أم سخطوا بما قلناه . ولقد تأول زعماؤهم كل ماورد عن الجزاء الأخروى وعن الآخرة بمعناها الدينى الصحيح . فجعلوا العذاب من المعذوبة والقيامة عودة الإله من حيث كان قبل اليقين الأول فى الحقيقة المحمدية .

إن الإيمان بما ذهب إليه الصوفية من وحدة الأديان سماويها ووضعيها ، صحيحها وزائفها - أمر مؤسف حقا - وإلا فكيف تشمل الوحدة جماعة أربابها متفرقون ؟ .

كيف يشمل الإخاء قلباً يعبد الله وآخر يعبد الصنم؟ كيف يشمل الحب مؤمنا محبتا لله الذى يأمره بمجانبة الشرك والوثنية ؛ وآخر يعبد هواه المصور فى صنم أو عجل أو بهاء ؟ كيف يتوحد العالم وليست هناك وحدة تشمل آلهته المعبودة فى قلوب العابدين

إن المؤمن بإله يعمل بما شرعه له ذلك الإله أو بما شرعه الزاعمون أنهم وسطاء له ، ولاريب فى أن هناك تبايناً بعيداً وتناقضاً بيناً فى تلك الشرائع، وتبعاً لهذا تتباين الأعمال والأخلاق والعقائد .

أتكفى الإنسانية وحدها لتكون رباطا يربط هذه القلوب ؟ من ذا الذى سيزيل كل مظاهر التفرقة بين أفراد النوع الإنسانى ؛ والأديان السماوية فى سموها وجلالها ودأبها وسعيها الملح ، لم تزل تلك التفرقة فى الواقع رغم أنها حاولت ذلك فى كل زمن؛ وتسلحت بالحق والصبر والعزيمة والهدى والنور .

فالدارس للتاريخ يجد أن العالم كله لم يجتمع يوماً على كلمة واحدة .

هذا هو الشأن مع الأديان السماوية ، فكيف مع القوانين الوضعية .

إن الدين أيا كان له قوة هائلة تدفع إلى التضحية الهائلة معتنقيه ، ومع ذلك كله فلم يجمع العالم حتى اليوم دين واحد ولاحب واحد . الناس شأنهم دائماً مع الدين «فريق فى الجنة وفريق فى السعير »

أما هذه الشاعرية ؛ أما تلك الخيالات المجنحة بالتهاويل ؛ أما تلك الأساطير المقنعة بالأوهام والشهوات ؛ فلن تستطيع مصادمة الحق والواقع ؛ وإذا شئت العمل فى سبيل وحدة تشمل الناس فلتكن تحت راية دين واحد هو الحق والصدق والخير والجمال وهو الإسلام ، وهو إخلاص العبادة لله وحده ، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع. لا تحت طاغوت صوفية ابن الفارض وشيوخ ابن الفارض الوثنيين ، أعداء الله ورسله ، بل أعداء الإنسانية من أول الدهر .

فالتاريخ يحدثنا حديثاً لا يرقى إليه الشك ـ أن الجماعة الإسلامية الأولى ؛ كانت هى الجماعة الإنسانية المثالية فى سمو الروح ، وقوة العزيمة وسماحة الأخلاق ، ونبل الإيثار ، وجلال التضحية فى سبيل المثل العليا ؛ وشمول الرحمة والتوحيد الشامل التام فى المبادىء والغايات.

ويشهد التاريخ أيضاً أن الفرد فى هذه الجماعة كان لا يهدف إلا إلى خير جماعته

ورقيها ، ودوام وحدتها نقية صافية ، ولقد عاش فى ظل هذه الجماعة الإسلامية المسيحى واليهودى وسواهم ، عاش هؤلاء جميعاً يرفرف عليهم العدل والأمن ويغمر دنياهم الرضا ، ويرعى أيامهم السلام ، ذلك لأن هذه الجماعة كانت معتصمة بدينها الحق ، هداها القرآن ، ومشكاتها السنة .

أما عهود الوثنية والمجوسية والمسيحية الزيفاء واليهودية الضالة . . فكانت عهود استبداد وبطش وعبودية ذليلة للسلطان الغشوم . كان الجور لحمتها والطغيان سداها ، كانت تتنزى جريمة وفسقا ، وكانت تهوى انحلالا فى الخلق والفكر والعقيدة ، كانت عهود جريمة فردية وجماعية لأنها كانت تتولى الشيطان وتكفر بالرحمن .

فهل يريد الصوفية أن نكون خليطاً وأوشاباً وأمشاجاً من هؤلاء ، ومع ذلك نكون وحدة يرعاها السلام والوئام؟ أعقيدة مشرقة من الوحى من السماء ، وشريعة يقطر سلسها من الوحى الرشيد - هذان لا يصطحبان لتكوين وحدة إنسانية تتمثل الحب خلقا ، والتفانى فى الإيثار غاية ، ليت الصوفية يدرسون الحب فى الإسلام من كتاب الله ، وهدى رسول الله ﷺ كما درسوا الحب عند ابن الفارض ، حتى يعلموا أن ما يزعمه ابن الفارض حبا . . إن هو إلا غى وهوى ، وزندقة وتمجيس سحرى القناع ، مبدؤه ومنتهاه . . عبادة الشهوات .

أخبار العالم الإسلامى

• فاز البطل العالمى المسلم محمد على كلاى ببطولة العالم للملاكمة وبذلك استرد لقبه المسلوب ، وكان أول ماقاله بعد فوزه . . لقد انتصرت بفضل الله وبقوة الله ، ومن أراد أن يكون فى مثل قوتى فليعتنق الإسلام . . تهنئة للبطل المسلم الغيور على دينه ، الحريص على عقيدته .

• شهدت سفارة الفاتيكان حفلا رائعاً ، قدم خلاله الكاردينال بنيودلى وزير شئون غير المسيحيين إلى السيد / محمد توفيق عويضة سكرتير الوفد المصرى وسام الفارس الأكبر ، أرفع وسام فى الفاتيكان هدية من البابا بولس السادس إلى السيد/ محمد توفيق عويضة تقديراً لجهوده فى خدمة بلاده والعقيدة الاسلامية

• يزور القاهرة الآن الضيف السودانى الكبير فضيلة الشيخ على محمد حماد ، وإن الجماعة لتقدم له أسمى عبارات التحية لما بذله ويبذله فى خدمة السنة وتتمنى له رحلة موفقة كريمة بإذن الله .

الصحابى الجليل (أبو هريرة)

رضى الله عنه

بقلم الأستاذ سليمان رشاد محمد

روى عنه أنه قال : كان اسمى فى الجاهلية عبد شمس ، فسميت فى الإسلام عبد الرحمن ، وإنما كنيت بأبى هريرة لأنى وجدت هرة فحملتها فى كمى ، فرآنى رسول الله ﷺ ، فقال : ما هذه ؟ فقلت : هرة ، فقال يا أبا هريرة - وأكرم بها كنية كناه بها رسول رب العالمين — وهو من الأزد من دوس .

أسلم أبو هريرة عام خيبر وصحبها مع رسول الله ﷺ ، ثم لزمه ورغب عليه رغبة فى العلم ، راضياً بشبع بطنه - لا يشغله عن الدنيا شاغل — فكانت يده مع رسول الله ﷺ يدور معه حيث دار ، وكان من أحفظ أصحاب رسول الله ، وكان يحضر مالا يحضر سائر المهاجرين والأنصار ، لاشتغال المهاجرين بالتجارة ، والأنصار بزراعتهم . وقد شهد له رسول الله ﷺ بأنه حريص على العلم والحديث .

قال البخارى : روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل من بين صاحب وتابع ، وممن روى عنه من الصحابة ابن عباس وابن عمر وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وواثلة ابن الأسقع . وقال البخارى . وكان أحفظ من روى الحديث .

وقال وكيع : كان أبو هريرة أحفظ أصحاب محمد ﷺ .

وقال الحافظ ابن حجر من الإصابة : قد أجمع أهل الحديث على أنه أكثر الصحابة حديثاً . وقال ابن أبى خيثمة : لم يكن أحد من الصحابة أكثر حديثاً من أبى هريرة .

وقال الشافعى : أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره .

وقال أبو محمد بن حزم : إن مسند تقى ابن مخلد احتوى من حديث أبى هريرة على أكثر من خمسة آلاف وثلاثمائة حديث .

وقال طلحة بن عبيد الله لا أشك أن

أبا هريرة سمع من رسول الله ﷺ ما لم نسمع . وقال ابن عمر : أبو هريرة خير منى وأعلم بما يحدث .

وقال زيد بن ثابت لرجل سأله : عليك بأبى هريرة فإنى سمعت رسول الله ﷺ يؤمن على دعائه وهو يسأل الله علماً لا ينسى .

وفى صحيح البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال : لم يكن أحد من أصحاب رسول الله ﷺ أكثر حديثاً منى إلا عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب .

وأخرج أحمد من حديث أبى بن كعب أن أبا هريرة كان جريئاً على أن يسأل رسول الله ﷺ عن أشياء لا يسأله عنها أحد غيره .

وقال أبو نعيم ، كان بو هريرة أحفظ الصحابة لأخبار رسول الله ﷺ وكان رسول الله يحبه ودعا له أن يحببه الله للمؤمنين فلا يبغضه إلا مدخول فى إيمانه .

ومما يدل على قوة حفظه وتثبته ما رواه أبو الزعيزعة كاتب مروان : قال : أرسل مروان إلى أبى هريرة فجعل يحدثه وأجلس خلف السرير أكتب ما يحدثه به ، حتى إذا كان فى رأس الحول أرسل إليه فسأله وأمرنى أن أنظر فما غير حرفا عن حرف .

وقد روى أبو هريرة رضى الله عنه عن بعض الصحابة منهم : أبو بكر وعمر والفضل ابن عباس وأبى بن كعب وأسامة بن زيد وبصرة الغفارى وكعب الأحبار رضى الله عنهم أجمعين .

وروى عنه جمع غفير من كبار التابعين منهم مروان بن الحكم وقبيصة بن ذؤيب وسعيد بن المسيب وعبد الله بن ثعلبة وعروة ابن الزبير وشريح بن هانىء وأبو سعيد المقبرى وسليمان بن يسار وعبد الله بن شقيق وأبى رزين الأسدى وسالم بن عبدالله بن عمر وأبو سلمة وحميد ابنا عبد الرحمن بن عوف ومحمد بن سيرين والأعرج وهو عبد الرحمن ابن هرمز وعطاء بن أبى رباح ومحمد بن المنكدر وغيرهم ... وغيرهم .

دخل أبو هريرة على رسول الله ﷺ يعوده فى شكواه فقال له : أوصيك يا أباهريرة بخصال لا تدعهن ما بقيت : عليك بالغسل يوم الجمعة والبكور إليها ولا تلغ ولا تله ، وأوصيك بصيام ثلاثة أيام من كل شهر

فإنه صيام الدهر ، وأوصيك بركعتي الفجر لا تدعهما وإن صليت الليل كله فإنه فيهما الرغائب .

وكان رضى الله عنه يبتدىء حديثه بأن يقول : قال رسول الله الصادق المصدوق أبو القاسم صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » وكان ابن عمر رضى الله عنه إذا سمع أبا هريرة يتكلم قال : إنا نعرف ما يقول ولكنا نجبن ويجترىء . فيقول أبو هريرة : ما ذنبي إن كنت حفظت ونسوا .

وكان يقول : أقمت مع رسول الله ﷺ حتى مات وأدور معه في بيوته وأخدمه وأغزو معه وأحج ، فكنت أعلم الناس بحديثه ، وقد والله سبقني قوم بصحبته فكانوا يعرفون لزومي له فيسألونني عن حديثه ، منهم عمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير .

قال أبو بكر بن يحيى : كان أبو هريرة حريصاً على العلم وإنما يدفع أخباره من قد أعمى الله قلوبهم فلا يفهمون معاني الأخبار .

إما معطل جهمي يسمع أخباره التي يرونها خلاف مذهبهم الذي هو كفر فيشتمون أبا هريرة بما الله تعالى نزهه عنه ، تمويهاً على الرعاع والسفلة . وإما خارجي لا يرى طاعة خليفة ولا إمام إذا سمع أخبار أبي هريرة عن النبي ﷺ خلاف مذهبهم الذي هو ضلال لم يجد حيلة في دفع أخباره إلا الوقيعة فيه . وإما قدري إذا نظر في أخبار أبي هريرة عن رسول الله ما يثبت القدر وجدها تعارض مذهبهم الذي هو كفر وشرك فيقول : لا يجوز الاحتجاج بحديث أبي هريرة . وإما جاهل يتعاطى الفقه ويطلبه من غير مكانه ويدرج في غير ميدانه .

أما العلماء المحققون المثبتون في جميع العصور فقد شهدوا له بالتقدم والحفظ والصدق والتفوق .

[باختصار وتصرف من كتاب « عنوان النجابة ، في معرفة من مات بالمدينة المنورة من الصحابة »] .

سليمان رشاد محمد

دفاع عن البخاري . . .

للأستاذ أحمد جمال العمرى
ماجستير فى الآداب

هذه المقالة رد على للدعين ، وتذكير لمن يريد أن يتذكر، ودفاع عن الرجل الذى وعى وحفظ وقدم للبشرية عملا من أمجد الأعمال الإنسانية وأعظمها شأنا ، دفاع عن الرجل الذى حفظ السنة المحمدية . . دفاع عن البخارى فى ذكراه .

. . .

من هو البخارى[1] ؟ وكيف جمع الحديث ، وماهى شروطه . . وما وجه الدقة فى عمله ، وكيف تقبل الناس علماؤهم وعامتهم عمله فى عصره وبعد عصره بالإكبار والعرفان ؟.

هذه أسئلة سنحاول الآن الإجابة عنها:

أما الرجل : فهو « أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن مغيرة الجعفى البخارى عالم من علماء الإسلام المنتمين إلى العروبة ولاء . اعتنق جده المغيرة الإسلام على يد اليمان الجعفى والى بخارى . ومن هنا كان ينتسب تارة إلى مدينته (بخارى) وتارة إلى قبيلته (جعفة) فيقولون : الجعفى التى منها اليمان :

ولد رضى الله تعالى عنه ببخارى يوم الجمعة ثالث عشر من شوال سنة ١٩٤ هـ . وحفظ تصانيف عبدالله بن المبارك وهو صغير وسمع مرويات بلده من علماء عصره . . ثم رحل إلى شيوخ الحديث وأئمته ، فذهب إلى بغداد والبصرة والكوفة ومكة والشام وحمص وعسقلان ومصر ، وكتب عن أكثر من ألف رجل .. وفى ذلك يقول:

« كتبت عن ألف وثمانين رجلا ليس فيهم إلا صاحب حديث ، كلهم يقول : الإيمان قول وعمل » .

(١) أهم مصادر ترجمته والتعريف بصحيحه : كتاب تاريخ بغداد ٤/٢ وما بعدها ، وتذكرة الحفاظ ١٢٢/٤ ، وسير أعلام النبلاء ٢٣٤/٨ - ٢٥٤ ، وطبقات الشافعية ٢/٢ ، تهذيب التهذيب ٤٧/٩ ، تدريب الراوى ص ١٢ ، ٤٩

وكان رحمه الله رأساً في الذكاء، ورأساً في العلم والورع والعبادة يروون أنه كان يحفظ مائة ألف حديث صحيح، ومائتي ألف حديث غير صحيح، وكان واسع المعرفة غزير العلم روى عنه أنه قال:

[خرجت كتاب الصحيح من زهاء ستمائة ألف حديث في ست عشرة سنة، وما وضعت فيه حديثاً إلا اغتسلت وصليت ركعتين].

ونظراً لمكانته الدينية فقد تتلمذ عليه رجال كثيرون قدرهم العلماء بنحو مائة ألف وكانوا يعظمونه حتى أنهم أطلقوا عليه «أمير المؤمنين في الحديث».

* كيف صنف البخاري كتاب الصحيح؟

لقد قسم البخاري كتابه الصحيح حسب موضوعات الحديث — فهو لم يقف عند الأساس الفقهي وحده الذي خضع له مالك في كتابه الموطأ، وإنما وسع دائرة منهجه فجعلها تشمل كل الموضوعات التي تتضمنها أحاديث رسول الله، فهناك موضوعات فقهية، وموضوعات تاريخية، وموضوعات تتناول مسائل أخرى متعددة من تفسير لبعض الآيات القرآنية، ومن حديث عن بعض الصحابة.

فالأساس الذي قام عليه ترتيب كتاب البخاري ليس أساساً فقهياً خالصاً، ولكنه أساس موضوعي يقوم على تقسيم الكتاب إلى أقسام يتضمن كل قسم منها الأحاديث المشتركة في موضوع واحد، فكانت تقسيماته إلى كتب بلغ عددها ٩٧ كتاباً، وقسم هذه الكتب إلى أبواب بلغ عددها ٣٤٥٠ باباً، وأول كتاب من صحيح البخاري هو كتاب بدء الوحي، ثم كتاب الإيمان، ثم كتاب العلم.. وهكذا تتوالى الكتب المتعددة المختلفة باختلاف موضوعات الأحاديث نفسها.

* والباحث المدقق يستطيع أن يلحظ أن البخاري في صحيحه اتبع منهجاً جديداً فريداً. فهو على الرغم من أنه التقى بألف وثمانين راوياً (١٠٨٠) وعلماً من رواة الحديث وعلمائه، وجمع منهم حوالي (٦٠٠,٠٠٠ حديث) إلا أنه أخذ على نفسه أن يصفي هذه المجموعة الضخمة ويخضعها لشروط دقيقة بالغة في الدقة لتميز الصحيح منها، ويبعد ما لم تثبت صحته لديه.

وتعد شروط البخاري — في نظر العلماء — أدق شروط فرضها عالم على نفسه في تاريخ البحث العلمي عامة، والثقافة

الإسلامية خاصة . ولهذا عرفت هذه الشروط عند علماء الحديث بشروط البخارى نسبة إلى الإمام البخارى نظراً لأنها أدق شروط عرفها العلماء فى عصره وبعد عصره

وأهم هذه الشروط شرطان :

الأول : أن البخارى لم يقبل فى كتابه إلا الأحاديث الصحيحة بالمعنى الاصطلاحى المعروف عند علماء الحديث — والحديث الصحيح كما عرفه العلماء : هو الحديث الذى اتصلت روايته من الراوى الأخير إلى النبى عليه السلام بدون انقطاع فى سلسلة الإسناد أو كما ورد فى كتب الحديث [هو الحديث المسند الذى يتصل إسناده بنقل العدل الضابط عن العدل الضابط إلى منتهاه ولا يكون شاذاً ولا معللا] .

والشرط الثانى : أن البخارى اشترط فى رواية أحاديثه المعاصرة واللقاء ، ولم يكتف — كما فعل غيره من علماء الحديث — بالمشافهة ، أى أن البخارى اشترط أن يكون الراوى قد عاصر الراوى الذى روى عنه ، ونقل عنه نقلا مباشرا .

وهذا الشرط هو ما انفرد به البخارى من بين جميع علماء الحديث . . ومن أجل ذلك قسم البخارى الرواة درجات :

الدرجة الأولى : أن يكون الراوى ملازماً لمن يروى عنه فى السفر والحضر — أى الإقامة ، وهذه أعلى الدرجات عند البخارى .

الدرجة الثانية : أن يكون الراوى قد لازم من يروى عنه فترة غير قصيرة .

ثم تأتى بعد ذلك درجات أخرى أقل من هاتين الدرجتين .

وكان اعتماد البخارى الأساسى على رواة الدرجة الأولى ، أما رواة الدرجة الثانية فلم يأخذ عنهم أو يقبل رواياتهم إلا فى حالات قليلة ، وبشروط أخرى وضعها لنفسه وهى .. ألا يتصل الحديث بحكم دينى . أما سائر الدرجات بعد ذلك ، فلم يكن يقبل رواية أحد منهم .

ومضى البخارى فى ضوء هذين الشرطين — الملازمة واللقاء — يصفى تلك المجموعة الضخمة من الأحاديث التى جمعها ، وقد تمت تصفية هذه المجموعة تصفية دقيقة ، فانخفض عددها من ٦٠٠ ألف حديث إلى ٧٧٦١ حديثا . وهذا العدد هو عدد الأحاديث فى صحيح البخارى بدون تكرار — أما إذا

أضفنا إلى هذا العدد الأحاديث المكررة فى الأبواب المختلفة ، والأحاديث التى اختلفت رواياتها فى بعض ألفاظها فإن العدد يرتفع إلى ٩٠٨٢ حديثا. وهذا العدد هو ما حققه ابن حجر فى مقدمته المشهورة لشرح صحيح البخارى، وهذا يدل على منتهى الدقة التى قام عليها هذا الكتاب.

فالبخارى إذن لم يحاول أن يتكثر من الأحاديث فى كتابه ، أو يتزيد فيها ، أو أن يملأ الأبواب التى قسم إليها كتابه ، بل كان مقيداً ملتزماً بشروطه التى وضعها لنفسه يطبقها بكل دقة وأمانة.

ولقد ساعد البخارى على ذلك وهيأ له أن يصل بكتابه إلى هذا المستوى العالى من الضبط والدقة والإتقان أمران :

الأول: قوة حافظته . فكل من عرضوا له وتحدثوا عنه ، نوهوا بهذه الذاكرة القوية التى لم تكن تنسى أى شىء يستقر فيها.

تقول المصادر : إن أهل بغداد حينما سمعوا بمدى حفظه ودقته ، وذيوع صيته وشهرته أرادوا أهل الحديث فيها امتحانه ، فعمدوا إلى مائة حديث ، فقلبوا متونها وأسانيدها ، وجعلوا متن هذا لإسناد هذا وإسناد هذا لمتن ذاك ، ودفعوا إلى كل واحد عشرة أحاديث ليلقوها عليه فى المجلس فاجتمع الناس ، وانتدب أحدهم فقام وسأله عن حديث من تلك العشرة فقال: لا أعرفه ، ثم سأل عن آخر، فقال: لا أعرفه ، حتى فرغ من العشرة والبخارى يقول : لا أعرفه ، ثم انتدب آخر من العشرة ، فكان حاله معه كذلك إلى تمام العشرة ، والبخارى لا يزيدهم عن قوله: لا أعرفه ، فكان الفقهاء يلتفت بعضهم إلى بعض ويقولون : الرجل فهم ، وأما غيرهم فلم يدركوا ذلك ، ولما فرغوا من إلقاء الحديث عليه ، التفت البخارى إلى الأول فقال: « أما حديثك الأول فهو كذا، وحديثك الثانى كذا . . إلى آخر العشرة » فرد كل متن إلى إسناده ، وفعل بالثانى مثل ذلك إلى أن فرغ ، فأقر له الناس بالحفظ والضبط والإتقان .

أما الأمر الثانى : فهو سعة علمه واطلاعه فى علم الحديث ومعرفة رواته .

وهو نفسه يقول عن نفسه « قل اسم فى التاريخ (يعنى تاريخ الحديث) إلا وعندى له قصة ، فكل رواة الحديث، كان البخارى يعرف عنهم معلومات تتيح له الحكم عليهم بالتوثيق أو التجريح ، وهو من أجل

(البقية على ص ٤٣)

المرأة فى ظل الإسلام ...
(٤)

بقلم الأستاذ مصطفى برهام
سكرتير فرع الجماعة بالمحلة الكبرى

الزواج ..

[ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون] :

الزواج عقد بين الزوجين ، وهما - أو من يقوم مقامهما - طرفا العقد ، والمعروف أن العقود تلزم كل طرف بما التزم به من حقوق فيها ، ولا يملك أحد من الطرفين أن يخل بشىء حقوق التعاقد ، وقد جعل الله عقد الزواج فى العقود وأعظمها ، وسماه فى القرآن « الميثاق الغليظ » .

ولقد حرص الإسلام على أن يجعل الزواج أصلا من أصوله الاجتماعية ، بل إنه يوضح أنه سبيل الأنبياء والمرسلين ، وهم النماذج البشرية الكاملة للإنسان الأمثل ، الذى ينبغى أن يحتذى به الناس ويقتدوا . .

يقول الله تعالى : ﴿ ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجا وذرية ﴾ (١) ... ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » . ويقول عليه الصلاة والسلام : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصيام فإنه له وجاء » ... ومعنى هذا أن كل إنسان يجد فى نفسه قدرة على تكاليف الزواج ، وما يعقبه من نفقات المعيشة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم لأنه يكسر حدة الشهوة ، ويعين على العفة .

---

(١) الرعد ٣٨ .

والمرأة فى عقد الزواج هى أحد طرفيه وقد حفظ لها الإسلام فى عقد الزواج كرامتها بل إن عقد الزواج فى الإسلام هو أعلى مظهر من مظاهر تكريم المرأة ، فلا يمكن أن يتم الزواج أو يبرم العقد إلا برضاها ، وهو تكريم لم تنله إلا بظهور الإسلام ، حيث كانت قبله تتزوج مكرهة دون رضاها وتجبر على معاشرة الزوج وإن كانت تكرهه ، وفى هذا يقول الرسول ﷺ « لا تزوج الأيم حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن » والأيم هى الثيب التى طلقها زوجها أو مات عنها والاستئمار هو طلب الأمر .

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال « البكر تستأذن ، قالت : إن البكر تستأذن وتستحى فقال: إذنها صماتها » أى إذا سكتت ولم تعارض فذلك إذنها بالموافقة ، وإذا زوجت الثيب دون أن تستأمر فالعقد موقوف على رضاها ، وإذا زوجت البكر دون أن تستأذن فهى بالخيار إن شاءت أمضت العقد ، وإن شاءت أبطلته ، وقد جاءت فتاة إلى النبى ﷺ فقالت « إن أبى زوجنى ابن أخيه ليرفع بى خسيسته » فجعل النبى الأمر إليها ، أى أخبرها أن أمرها بيدها ، إن شاءت أقرت ما صنع أبوها ، وإن شاءت أبطلته ، فقالت « قد أجزت ما صنع أبى ، ولكن أردت أن أعلم النساء أن ليس للآباء من الأمر شىء »

المودة والرحمة :

من لطف الله تعالى ورحمته أنه جعل الزواج سبيلا إلى ارتباط الزوج والزوجة بروابط المحبة والتراحم ، وأن يجد كل منهما فى الآخر سكنه وطمأنينته النفسية ، فالعلاقة الزوجية بين الزوجين كما أرادها الله تقوم على أسس من السكن النفسى والمحبة والرحمة ، وهى أسس يتغلبان بها على شقاء الحياة ، ويخلقان من خلالها جواً من السعادة النفسية التى تتضاعف كلما أحس كل منها أن رفيقه يبذل من راحته ليريحه . ومن سعادته ليسعده . ومن ذات نفسه ليبعد عنه كل ما يؤذيه ويضايقه .

هذه المعانى هى ما ينبغى أن يفهمه الرجل والمرأة فى العلاقة الزوجية ، لا ما يفهمونه ويمارسونه اليوم من منطلق أن هذه العلاقة صراع بين الرجل والمرأة ، الظاهر فيه من يفوز وكم خربت بيوت وتهدمت أسر ، نتيجة لإصرار الزوج والزوجة على أن يصارع كل منهما الآخر بدعوى عدم تفريط كل منهما

فى حق من حقوقه حتى لايجور عليهما الآخر.

ومن أسف أن هـذا الصراع لايظهر بصورة تكاد تكون متفشية إلا بين أزواج وزوجات مثقفين ، ولذلك ينبغى أن يفهم الطرفان أنهما إذ يجتمعان على إيحاء عميق بالتلازم، والرغبة المتبادلة ، والتعاون المشترك الذى تعلوه مشاعر الود والإيثار والتراحم ، فإن عقدة الأنانية فى نفس كل منهما ينبغى أن تنحل، وتتسع تبعاً لذلك مجالات العاطفة فى نفسيهما ، لتشمل الأبناء وهم الثمرات الطبيعية لهذه العلاقة المقدسة ، ومن ثم تسير الحياة بينهما تظللها أحاسيس المودة والرحمة وتحوطها مشاعر الحب والإيثار كما أراد الله لها أن تسير .

مهر :

المهر من الحقوق التى أوجبها الإسلام للمرأة ، وهو قدر من المال يدفعه الزوج لزوجته ، وهو عطاء الله المفروض على الرجل للمرأة ، لها كامل الحق فى الحصول عليه ، وهو حقها وحدها ، ليس لوليها أن يحصل على شىء منه ، وليس لزوجها بعد الدخول بها أن يحصل عليه أو على بعضه إلا بمحض رضا الزوجة ورغبتها الأصيلة الأكيدة ، مصداقا لقول الله تعالى : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شىء منه نفسا فكلوه هنيئاً مريئاً[1] »

والمرأة بعد حصولها على مهرها غير ملزمة بأن تتجهز بشىء منه إطلاقا إلى زوجها إلا أن تفعل ذلك طيبة به نفسها ، وفى المهر فضلا عن أنه حق خالص للمرأة معنى التكريم لها ، إذ يفرض الإسلام ألا تنتقل المرأة إلى بيت الزوج إلا بعد أن يبذل لها من المال والهدايا والألطاف مايجعلها تحس أنها عزيزة كريمة مطلوبة مرغوبة .. وهذا الحق لم تظفر بمثله المرأة الغربية إلى يومنا هذا ، إذ لايزال العرف عندهم يجرى على أن يجهز والد الزوجة قدراً من المال يدفعه إلى الزوج عند إتمام الزواج ، وهو حق خالص للزوج يستعين به على مواجهة الحياة ، وهو مايسمى « الدوطة »

وقد حض الإسلام على عدم المغالاة فى المهور ، ورغب فى اليسر إلى أبعد الحدود لقول رسول الله ﷺ « إن أعظم الزواج بركة أيسره مئونة » ولقوله « خير الصداق أيسره »

(١) سورة النساء آية ٤

النفقـــة :

قرر الإسلام أن الزوج وحده مسئول عن الإنفاق على زوجه ، وعليه أن يكفل لها المسكن والطعام والكسوة لقول الرسول ﷺ « ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف »

والزوجة لاتلتزم أن تنفق على نفسها شيئاً من المال قل أو كثر — ولو كانت ذات مال — إلا أن تتطوع بذلك وقد طابت به نفسها ، دون تحايل من الزوج ، ودون إرغام أو تهديد أو قهر ، وهذه النفقة تقدر حسب طاقة الزوج وقدرته المادية ، فإذا كان ذا مال فعليه أن ينفق من سعته وألا يبخل بشيء من النفقة على زوجه وأولاده وبيته ، وإذا كان فقيراً فعليه أن ينفق على قدر طاقته واحتماله لقول الله تعالى: « ليُنفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله [1] »

وإلى العدد القادم إن شاء الله ؟

دفاع عن البخـــاري . . .

[بقية المنشور على ص ٣٩]

وذلك ألف كتاباً في تاريخ رجال الحديث أسماه « التاريخ الكبير » .

وقد جمع الأمران معاً — في قوله لسليم ابن مجاهد : « . . ولا أجيئك بحديث عن الصحابة أو التابعين إلا عرفت مولد أكثرهم ووفاتهم ومساكنهم ، ولست أروي حديثاً من حديث الصحابة أو التابعين إلا على ذلك أصل أحفظه عن كتاب الله وسنة رسول الله »

هذا هو البخاري العالم الجليل . . وهذه شروطه في جمع وتصنيف صحيح الحديث هذا مانطقت به المصادر ، وهذا ماتعلمناه ولانقول عظماه ، لأن فوق كل ذي علم عليم

كلمة أخيرة :

إن الذين يطعنون في البخاري اليوم . . إنما يقصدون أموراً خطيرة غايتها بلبلة أفكار المسلمين وتشتيت جهودهم . . إنهم يريدون من طعن البخاري هدم ركن ركين يرتكز عليه الإسلام . . هدم أعظم مصدر من مصادر التشريع الإسلامي ، هدم السنة المحمدية التي حفظ لنا البخاري منها جزءاً كبيراً صحيحاً دقيقاً مدعماً محمصاً ولكن سيخيب ظنهم ، وسيرتد كيدهم إلى نحورهم مادمنا متمسكين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

---

(١) سورة الطلاق ٢

المعنى السياسى في تحريم الإسلام للخمر

للدكتور إبراهيم إبراهيم هلال

لهؤلاء الذين يتعاطون الخمر، والذين يدافعون عنها من كتاب الصحافة فى بلادنا أو فى مصرنا ..

نقول إذا كان هذا دليل تمدين أو تقدم — فيما تعتقدون — فإنه أيضاً عنوان همجية ووحشية .. ما الذى نصف به ذلك الذى يتعاطى الخمر ليفسد عقله ويفسد صحته عموما ، ثم ما الذى نصف به ذلك الذى يساعده على الإفساد ويمهد له هذا السبيل ؟

إن الأول لا نصفه إلا بالخبل وعدم التميز ذلك لأنه عدو نفسه فقد قدم لها ما يفسدها ، وجنى عليها بإقدامه عامداً على هذا النوع من الشراب ، وهو بهذا قد سقط إلى درك الحيوانات التى أصبحت دون العقل ودون التميز : ولذلك لا نستطيع أن نصفه بالإيمان لأنه قد فقد مقومات التكليف وهذه المقومات هى التميز ، والعقل ، فحق عليه قول الرسول ﷺ « ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن » .

أما الثانى فإذا تبين لنا أنه بترويجه لشرب الخمر والدفاع عنها ، إنما يكثر فى المجتمع من أمثال هذا المخبول الذى يشربها فإننا يمكن أن نصفه بأنه عدو للمجتمع ، وعدو للوطن ، فضلا عن خروجه عن حظيرة الأديان كلها ، وإذا كان يدعى بدفاعه زوراً وبهتاناً عن قطع يد السارق أنه يدعو إلى ذلك لئلا يكثر فى المجتمع العجزة والمشوهون[1] ، فإنه هنا قد كشف نفسه وظهر على حقيقته وأنه إنما يريد للمجتمع — حقيقة — انتكاساً واضطراباً وتوقف أعمال ، بل القضاء على المجتمع قضاء كليا ، لأن المجتمع إذا انقلب إلى سكارى ومضطربى الأعصاب والعقول فأين أبناؤه الذين ينتجون ويدافعون عنه ؟

ثم هم قد احتجوا وغلفوا باطلهم الذى يريدون إشاعته فى الأمة بغلاف لا يلبس أن ينكشف عما تحته (وهو أن فى تحريم الخمر منعاً للسائحين من القدوم إلى بلادنا وأن بلادنا يأتيها دخل عظيم من وزراء ذلك فلا نستطيع

(١) انظر ردى على هذا فى عدد صفر سنة ١٣٩٤ من هذه المجلة الغراء

تحريم الخمر ومنعها ابتغاء لذلك الدخل العظيم!

وأقول لهؤلاء إذا كان لهم أن يحتجوا بهذا، ويطالبوا بإباحة الخمر من أجله فليطالبوا أيضاً بإباحة الفاحشة علناً، وتنظيمها لهؤلاء السماح رجاء ما يأتينا من دخل هذا الطريق لأن هذا قرين ذاك، فالأديان التي حرمت الزنى، هي نفسها التي أجمعت أيضاً على تحريم الخمر، وقد قرن ديننا الإسلامي بينهما، في خروج فاعلهما من الإيمان، في قوله ﷺ «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن»

وأنا إذا رفضت تبرئة هؤلاء من عدم ممانعتهم، في المطالبة أيضاً بإباحة البغاء، فلأنهم في الوقت الذي طالبوا فيه بإباحة الخمر، يعتبرون بلاشك منادين بالبغاء لأن من سكر هذى ومن هذى افترى، فالخمر أم الخبائث وفاتحة أبواب المنكرات وفي تاريخ بني إسرائيل، أن امرأة بغيا لم تستطع أن تصل إلى راهب إلا بعد أن أسقته الخمر، وهذه دعوة جريئة أيضاً منهم قد تكون أجرأ من دعوتهم في الدفاع عن السارق.

وحينئذ نوجه إليهم هذا السؤال: أين أنتم من المدنية الآن، وأين المدنية منكم؟ من يطالب بالإباحية. والشيوعية في النساء، والفوضى عن طريق السكر والعربدة، كيف يكون متمدينا أو متدينا؟ إن التمدين هو التدين، ولا يمكن أبداً أن يتعارض الدين مع المدنية، بل لا يمكن أن تأتي المدنية إلا عن طريق الدين. انظروا إلى أصل الحضارة إذ كنتم تقرءون، هل هي سابقة على الدين، أم أن الدين هو الذي سبقها. ووجد وولد منذ ميلاد البشرية؟. وعن طريق الدين، أخذ الإنسان يفكر، وعن طريق هذا التفكير بدأ يستعمل عقله، ويديه، ويصنع تاريخه وحضارته.

إن المجتمعات البدائية لم يمكن إخراجها من بداوتها وهمجيتها، والانتفاع بها إلا عن طريق التبشير بالدين أولا فيما بينها وأمامنا مجتمعات استراليا وأفريقيا قد استطاع الاستعمار أن ينشئ منها شعوباً حية عن طريق الدين فضلا عما قام به المسلمون من قبل في نشر الدين في بلاد أفريقيا الأكثر تقدماً وحضارة عن طريق التبشير بالدين أولا فيما بينها. فالدين هو الذي يصنع المدنية. وكل دعوة تتعارض مع الدين هي في الوقت نفسه خروج على المدنية ورجوع إلى عهد البداوة والوحشية، والتحلل من القيم والأخلاق، والنظام والموازين الصحيحة، والدعوة إلى حياة بهيمية أو حيوانية لا تعرف نظام الدول

وحياة المجتمعات .. إن السائح الذى يطلبون الخمر لأجله ، لن يقدم إلى هذه البلاد إلا إذا أمن على نفسه وماله . وهنا نطلب قطع يد السارق لنؤمن السياح أكثر وأكثر. ولن يقدم إليها إلا إذا عرفها بلاداً متقدمة متمدينة ، وهنا نطلب لها تهذيباً ، وخلقاً وكمالا وعقلا ومنعاً للمسكرات، وإلا فكيف يعيش وسط وطن أهله سكارى وحياتهم كلها عربدة وفوضى واضطراب ؟

لقد جاء فى (منوسمرتى)[1] « على البرهمى ألا يشرب الخمر إذ قد يمكن أن يقع فى سكره على أقذار أو يرتكب من الأفعال ما لا يليق به ارتكابه » وهذه هى طبيعة السكير ومن هنا جلد الإمام على رضى الله عنه شارب الخمر ثمانين جلدة بدلا من أربعين التى اشتهرت عن الرسول ﷺ والخلفاء الثلاثة محتجاً فى ذلك بأن شارب الخمر إذا سكر هذى وإذا هذى افترى ، وحد الافتراء ثمانون .

إن ماجاء فى هذا الكتاب (منوسمرتى) غير السماوى ؛ إنما هو وحى الفطرة والبداهة والتجربة ، قد تطابق مع ماجاء به الكتاب السماوى الذى نزل من عند خالق الفطرة والبداهة وأصحاب التجربة ، فأى سند لهؤلاء بعد هذا يستندون إليه فى دعواهم الخبيثة هذه؟.

إننا إذا درجنا على هذا المنوال سيأتى اليوم الذى ينقلب فيه أبناء الوطن جميعاً إلى الفساد وإلى الإفساد ، وهنا لا تكون لنا حياة ولن ينظر السياح إلينا إلا نظرتهم إلى الشعوب البدائية والهمجية، ومن بعيد لأنهم لن يفكروا أن يغامروا بأنفسهم وسط هؤلاء المتوحشين.

إن الدين هو العلم والإيمان ، ودلالة العلم والإيمان تقضى ديناً راسخاً متيناً هو آخر طراز فى صيحة الأديان أو فى حلقاتها ، وبالتالى آخر مظهر وأحسن نظام وأجده فى عالم المدنيات وحياة المجتمعات .

فإذا كان هؤلاء يبحثون عن آخر صيحات المدنية ، فليبحثوا عن الإسلام ولينادوا به ديناً ودنيا ، ومدنية ودولة وحياة ، فهو يسع كل ذلك بروح إنسانية ونظام أخلاق وحياة تقدمية كأرقى ما تكون الحياة (ما فرطنا فى الكتاب من شىء)

وكما خاطب الله رسوله ﷺ بقوله : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) أى لكل لا فرق بين أبيض وأحمر وأسود كما قال الرسول ﷺ « بعثت إلى الناس كافة » « بعثت إلى الأحمر والأبيض والأسود »

إذا كنتم تقرءون التاريخ فاقرءوا كيف كان استقبال أهل البلاد المفتوحة شرقاً وغرباً لدين الإسلام وأهل الإسلام ، وكيف كان الشعب ورجال الدين يتعاونون مع هؤلاء

(١) كتاب الهندوس المقدس

العرب الفاتحين ضد حكامهم الظالمين الذين عكفوا على الخمر، وعلى الملاهى والملذات، وجاروا على الضعيف إذا سرق للحاجة فقطعوه، وتركوا الشريف إذا سرق للنهب والظلم والخسف وتأكيد حياة الإقطاع، فلم يقيموا عليه حداً ولا محاكمة.

لاشك أن الذين استقبلوا العرب فى دخول بلادهم، سمعوا أولا عن دين العرب، وأنه يقطع يد السارق، لافرق بين شريف ووضيع، وأنه يمنع الخمر ويحض على الفضيلة وأنه دين كأرقى ما تكون الأديان ومدنية كأرقى ما تكون المدنيات، وقد كان أهل هذه البلاد المفتوحة جميعا، فى نظر عادتنا المدافعين عن الخمر أهل مدنيات وتقدم وتطور لا يصل العرب إليها. ولكن أهل تلك البلاد دون الفطرة، وبروح التجربة، رأوا أن ما عليه العرب إنما هو المدنية والديمقراطية كأرقى ما تكون المدنيات، وحياة الديمقراطية والمساواة، وأن ما هم فيه من حياة حكامهم من الفرس والروم إنما هو الانتكاسة بعينها وهو الهمجية والوحشية التى لا يليق بالإنسان كإنسان، ومن أجل هذا، نجح آخر طراز فى عالم المدنيات والأديان، على ذلك الطراز الذى رث وبلى من نظام حكم الفرس والروم وما كانوا فيه من عقائد أو ضلالات باطلة، لا تمت إلى الدين، ولا إلى المدنية بصلة.

وإذا كانت هذه الفطرة المستقيمة سبباً من أسباب انتشار الدين الإسلامى وقضائه على دولتى الفرس والروم فى سنين معدودات فإن هذه الفطرة أيضا قد نادت قديماً بتحريم الخمر فى شريعة وضعية هى شريعة الهندوس وبالغت فى تحريمها بأقوى صورة وأشد تنفير فطالبت من يشربها أن يعيد شربها ثانية « حارة حتى تحترق أمعاؤه بها فيموت ليكفر عن إثم شربها » « أو أن يشرب بول البقر أوعاء، أو لبناً، أو سمناً حاراً حتى يموت »

كذلك فإن هذه الفطرة المستقيمة رأيناها فى العرب، قبل أن يأتيهم الرسول ﷺ بتحريمها، فالوليد بن المغيرة أيضاً كان يعف عن شربها ويكره أن يرى سكرانا.

كذلك رأينا عمر بن الخطاب رضى الله عنه حينما نزل تحريمها بالتدريج، ووصل إلى المرحلة الثانية، وهى عدم قربان الصلاة وهم سكارى. ورأينا عمر يقول — وهو يرى الناس يشربون الخمر فى غير أوقات الصلاة — « اللهم أبن لنا فى الخمر بياناً شافياً » فنزلت المرحلة الثالثة وهى تحريمها نهائياً وفى جميع الأوقات.

« يأيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون »

فماذا يقول دعاة إباحة الخمر بعد هذا ؟

إن حياة الدول ليست بالأمر الهين إلى هذا الحد الذى يتقدم فيه دعاة الإلحاد والهدم لتقديم آرائهم الخبيثة كتخطيط لحياة دولة ومستقبل أمة ، وإن مستقبل الشعوب لهو أعظم وأهم ، من أن نفصل فيه بآراء هؤلاء الذين خرجوا على الفطرة والإيمان .

ودولة العلم والإيمان فى حاجة ماسة إلى التمسك بما جاء فى « كتاب العلم والإيمان » وهو « القرآن » كى تنمو وتزدهر وتقدم للعالم خير أمة أخرجت للناس تلك الأمة التى يرجو لها القرآن فى الآية المتقدمة الفلاح والعزة والخلود إذا اجتنبت الخمر والميسر والأنصاب والأزلام .

نسأل الله لنا ولهم الهداية والتوفيق ؟

طرف وملح

١) بعض الكلام أحد من السهام (حكمة)

٢) البطنة تقضى على الفطنة (ومعنى البطنة : ملء البطن بالطعام)

٣) أحسن الخطاب : الكلام المستطاب (حكمة)

٤) رحم الله عبداً قال خيراً فغنم ، أو سكت فسلم (حديث شريف)

ويقول الشاعر فى فضل السكوت :

ما إن ندمت على سكوتى مرة ولقد ندمت على الكلام مرارا

وأبلغ من هذا قول النبى صلى الله عليه وسلم :

« من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » (حديث شريف)

٥) المرء بفضيلته ، لا بفصيلته

وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم (من بطأ به عمله ، لم يسرع به نسبه)

وقوله تعالى (إن أكرمكم عند الله أتقاكم)

٦) لاتبع هيبة السكوت بالرخيص من الكلام (حكمة)

محمد على عبد الرحيم

بالرياسة العامة لتعليم البنات بالرياض

ألا فلا تتخذوا القبور مساجد

١ ـ حكم الصلاة فى هذه المساجد

للأستاذ الشيخ محمد سليمان عثمان

سألنى بعض الإخوة الأفاضل عن حكم الصلاة فى المساجد التى بنيت على قبور الصالحين وغيرهم والعكوف عليها وإقامة الموالد والأعياد عندها .. الخ .

وقد آن لنا أن نتكلم بالحق ، مؤثرين إياه على غيره ، لا تأخذنا فيه لومة لائم ، مهما عارض الهالكون ، وأكثر المغالطون والمخالفون ، الذين اغتروا بالضلال الغامر والفساد الغالب ، الذى استشرى فى البلاد والعباد ، وبه صار الإسلام غريباً ، والمتكلم بالحق عدواً بغيضاً ، فانقلبت الموازين ، وانتكست الأمور ، فأصبح المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، والسنة بدعة ، والبدعة سنة ، نشأ عليها الصغير . وهرم عليها الكبير . فإذا قام قائل بالحق يناديهم ، أن ارجعوا إلى كتاب ربكم ، وإلى الأمر الأول الذى كان عليه نبيكم وأصحابه ، ولا تتخذوا من دون الله أولياء .. قالوا إنك غريب دخيل ، تريد أن تلفتنا عما وجدنا عليه الآباء والأجداد .. أما ترى الكثرة من الناس قد أجمعوا على هذا الأمر ؟ أما ترى المشايخ والعلماء قد جاملوا ، وأقروا العامة على ما هم عليه ؟ أفترى هذا الجمع الكبير على الضلال ؟ وأنت وحدك ومن معك أفراد قلائل قد اهتدوا إلى الحق دون هذه الكثرة الهائلة من الناس ؟

ولو كان قائل هذا القول من عامة الناس الذين هم كأوزاع الطير المتبعين لكل ناعق ، لقلنا لهم عذرهم بجهلهم ، فهم فى حاجة إلى من يرشدهم ويعلمهم ، ولكن الطامة الكبرى ، أن علماء درسوا العلم سنين طويلة ، وعرفوا الحق من الباطل ، والرشد من الغى ، والهدى من الضلال ، ينزلقون فى هذه المداحض ، ويندفعون فى هذا التيار الجارف ويجاملون العامة ، ويداهنونهم على حساب الإسلام .. وأصدق رد وأبلغه على هذه

الغيابات قول الله تعالى : « وإن تطع أكثر من فى الأرض يضلوك عن سبيل الله » ، ويحضرنى قول عبد الله بن المبارك رحمه الله وغير واحد من السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين إذ يقولون : « اتبع أثر سلفك الصالح ولا يضرك قلة السالكين ، وإياك وما أحدث من البدع والضلالات ولا يغرك كثرة الهالكين » وكأن المسلم إذ يرى مافيه الناس من الضلال والهلاك يتبين فيهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم « سيأتى[1] على الناس زمان لا يبقى فيه من القرآن إلا اسمه ولا من الإسلام إلا اسمه يتسمون به وهم أبعد الناس منه ، مساجدهم عامرة وهى خراب من الهدى علماء ذلك الزمان شر علماء تحت ظل السماء منهم خرجت الفتنة وإليهم تعود » .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « إن من[2] أشراط الساعة أن يقبض العلم ويفشو الجهل وإن الله لا يقبض العلم من بعد ما أعطاكموه انتزاعاً ينتزعه من القلوب ولكن يقبضه بموت العلماء حتى إذا لم يبق عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالا فيستفتونهم فيفتونهم بآرائهم فيضلون ويضلون » فضلال الناس إنما هو بسكوت العلماء على الباطل ومداهنتهم ، وإقرارهم إياهم على ما هم فيه من الضلال ، وفتواهم برأى فلان وقول علان ، واستحسان جاهل قد أفضوا إلى ربهم ما ندرى ما الله فاعل بهم .

ونحن إذ نجيب عن سؤال الأخ الفاضل ، إنما نستدل فى ذلك بما صح من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو الحجة على كل إنسان كائناً من كان ولا ينبغى لمؤمن استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدعها لقول أحد مهما كان مقداره ، فإنه لا قول لأحد مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم . هكذا قال العلماء الربانيون الذين هم بركة الأنام من سلف هذه الأمة . منهم الإمام محمد بن إدريس الشافعى والإمام أحمد بن حنبل رحمهما الله .. والذى نقوله فى هذه المسألة اتباعاً لقول رسول الله ﷺ

---

(١) قال الحاكم فى تاريخ نيسابور أخبرنا محمد بن حامد حدثنا أبو حاتم السلمى حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن يحيى حدثنا خالد بن يزيد الأنصارى عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله وذكر الحديث، ورواه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث معاذ بن جبل ورواه ابن بطة فى الحيل من حديث على رضى الله عنه

(٢) رواه البخارى وغيره من حديث أنس رضى الله عنه بألفاظ متعددة.

وتوقفا عند أمره ، إن الصلاة فى هذه المساجد منهى عنها نهياً مطلقا . وقد زجر رسول الله ﷺ عنها زجراً شديداً ، وتوعد فاعلها بمقت الله وغضبه . ففى الصحيحين عن عائشة وابن عباس رضى الله عنهما قالوا : « لما نزل برسول الله ﷺ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم كشفها فقال وهو كذلك « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفيهما عن عائشة « أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرت كنيسة رأينها بأرض الحبشة فيها تصاوير قال رسول الله ﷺ أولئك قوم إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً . وصوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » وقال ﷺ فيما رواه ابن مسعود « إن من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد » رواه ابن أبى حاتم فى صحيحه والإمام أحمد فى المسند . وفى الموطأ أنه ﷺ قال « اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وفى سنن أبى داود « أنه ﷺ قال لاتتخذوا قبرى عيداً . وصلوا على حيثما كنتم فإن صلاتكم تبلغنى » .

هذه الأحاديث التى سقناها وهى غيض من فيض مما ورد فى هذا المعنى ، وهى نص ولا صادقة صريحة لاتحتاج إلى تأويل ، ولا مماحكة بحمل ألفاظها على غير مادلت عليه ؟ وهو أن المتخذين القبور مساجد ملعونون على لسان رسول الله — وأن غضب الله اشتد عليهم — وأنهم شرار الخلق عند الله يوم القيامة — وهم أشد الناس شبهاً باليهود المغضوب عليهم ، وغيرهم من الكفرة الضالين المفارقين لملة محمد ﷺ .. واتخاذ القبور مساجد ، إنما يكون بتحرى الصلاة عندها والعكوف عليها ، والطواف حولها كما يطاف ببيت الله الحرام ، والاستغاثة بأصحابها عند حلول الأزمات ، وتقبيل الأعتاب والانحناء لها ، وإقامة الموالد بجوارها . وبناء المساجد والقباب عليها ، وغيرها من الشفاعات التى ترتكب عند هذه القبور ، وصدانة الكهنة والدجالين لها ، بإطلاق البخور ، وإيقاد الشموع والسرج . وقبض النذور وإغراء العامة والبسطاء بهـا ، بحكايات مكذوبة ، وخرافات مصنوعة لكرامة صاحب القبر ، أو بأن القبر الفلانى ترياق مجرب ، وغير ذلك مما شحنت به كتب الكذابين الذين ملأوا الدنيا ضلالا وفساداً . (يتبع)